al-Itlīdī, Muḥammad Diyāb

Iʿlām al-nās

هذا كتاب اعلام الناس * بما وقع
للبرامكة مع بنى العباس * تأليف
الامام الفاضل محمد دياب
الاتليدى رحمه الله
والمسلمين
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه اخبار المتقدمين والمتاخرين وعلمه ماكان ومايكون الى يوم الدين نحمده ان جعلنا من امته ونشكره على عطائه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا ستره اذا نزل بنا القدم وجعلنا امة عدلا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى فساد على جميع الانبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم وبعد فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى ايامه وكثير التخليط وزيادة اثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبية سالنى بعض الاخوان الموفقين من لا يسعنى مخالفته ان اجمع له شيئا مما وقع فى زمن

الخلفاء

[redacted]

الخلفاء المتقدمين من بني امية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمي
اني لست اهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب وسميته
اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس وابتدات في ذلك بامير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبركا به وبذكره قيل لما رجع عمر رضي الله عنه
من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في
خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد اقبل من الشام
سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عني قال ولم قالت لانه ما انالني من
عطاياه منذ ولي امر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك
وانت في هذا الموضع فقال سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلي على الناس
ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه
كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم تبيعيني
ظلامتك من عمر فاني ارحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر
لست اهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا
فبينما هو كذلك اذ اقبل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها
على راسها وقالت واسواتاه شتمت امير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر
رضي الله عنه لا باس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم
يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة
وعشرين دينارا فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى
فعمر بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا
انا مت فاجعلها في كفني القى بها ربي وقال شرف الدين حسين بن ريان
اغرب ما نقلته من الاخبار واعجب ما عقلته عن الاخيار ممن كان يحضر مجلس

عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينهما الامام جالس في
بعض الايام وعنده اكابر الصحابة واهل الراى والاصابة وهو يقول في
القضايا ويحكم بين الرعايا اذ اقبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب
يكتنفه شابان من احسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه واوقفاه
بين يدى امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما
بالكف عنه وادنوه منه فقالوا يا امير المومنين نحن اخوان شقيقان جديران
باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه
عن الرذائل معروف بفضائله رباناصغارا واعزنا كبارا واولانا نعما غزارا كما قيل
لنا والد لو كان للناس مثله　　　اب آخر اغناهموا بالمناقب
خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها ويقطف يانع ثمارها فقتله
هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسالك القصاص عما جناه والحكم
فيه بما اراك الله　قال الراوى　فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب و
الغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش　قد خلع ثياب الهلع ونزع
جلباب الجزع　فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان
ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى
وعبرا بما طرى　وسانهى قصتى بين يديك　والامر فيها اليك　اعلم يا امير المؤمنين
انى من العرب العربا　نبت في منازل البادية وصبحت على اسود السنين
العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي
بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها　بنياق حبيبات الى عزيزات على
بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل　حسن النتاج　يمشي بينهن كانه
ملك عليه تاج　فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحايط شجرها فتناولته
بمشفرها　فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر　وتسور الحائط
وظهر　وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر　فضرب الفحل بذلك

الحجر فقتله واصاب مقتله فلما رايت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب توقدت
في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه
ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد ان صاح صيحة عظيمة
وصرخ صرخة اليمة فاسرعت من مكاني فلم يكن باسرع من هذين الشابين فامسكني
واحضراني كما تراني فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب
القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت
بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته
بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي واسلم امره الي واشهد الله
علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا
ووضعته فيه ولا يعلم به الا انا فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت
انت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انظرتني
ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولي يضمنني على هذا
الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه
قال فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين واشار الى ابي ذر دون الحاضرين
وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر يا ابا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم اضمنه
الى ثلاثة ايام فرضي الشابان بضمانة ابي ذر وانظراه ذلك القدر فلما انقضت
مدة الامهال وكاد وقتها يزول او قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة
حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا اين الغريم
يا ابا ذر كيف يرجع فنحن لا نبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر
وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بال[illegible]
واسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لا[illegible]
في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين ال[illegible]
وزفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض [illegible]

على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول وابيا الا الاخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا للمام ويضجون تاسفا على ابي ذر اذ اقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه اتم السلام ووجهه يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بخفي امواله واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كي لا يقال ذهب الوفا من الناس فقال ابو ذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اى قوم ولا رايته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدني وقال هذا يضمنني فلم استحسن رده وابت المروة ان تخيب قصده اذ ليس في اجابة القصد من باس كي لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشته بايناس كي لا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه واستغزر مروة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت من

يصنع الخير لم يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى قال الراوى فاثبتها في ديوان الغرائب وسطرتها في عنوان العجائب انتهى واحضر الهرمزان بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين قبل ان تقتلني اسقني شربة من الماء ولا تقتلني ظمانا فامر له عمر بقدح

مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال انا آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفا يا امير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعوه حتى انظر في امره فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال عمر رضي الله عنه لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان يقال اني اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضي الله عنه بعد ذلك كان تشاوره في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل برايه انتهى وسياتي نظير ذلك في اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزاري على وجهه لما داس على رداءه وقال له عمر رضي الله عنه دعه يقتص منك او ما هذا معناه فقال لعمر وهل استوى انا وهو في ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غد فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال ابياتا وهي هذه

تنصرت الاشراف من اجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني ... رجعت الى الامر الذي قال له عمر
ويا ليتني ارعى المخاض بقفرة ... وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة ... اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل بالاموال والضياع وبقي ما شاء الله ثم ان عمر رضي الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول القيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتني اعطك جواب كتابك قال الرسول

فذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم ازل اتلطف بالاذن حتى اذن لى فدخلت عليه فرايته اصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى اصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه اربعة اسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد اضعفوا اضعافا على ما تعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرايت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التى اكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالى على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال ابعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة اكثر ما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمر ان يقتص منه كان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام ضمنت له التزويج ولم اضمن له تولية الامر قال ثم اوما الى خادم كان على راسه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى انية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله

عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله
عليه وسلم وليكن نق قلبك وكل فيما احببت قال فاكل فى الذهب و
اكلت انا فى الخليج ثم دعا بطسوت الذهب واباريق الفضة فغسل
يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اومأ الى خادم بين يديه فمر
مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت
عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان
الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم
جاءت جارية ايضا كانها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج
طائر لم ار احسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها
الاخرى جامة فيها ماء ورد فاومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر
الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به
ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومأت اليه فطار ونزل
على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه
فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى الجوارى
اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكننا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم | يوما بجلق فى الزمان الاول الى قوله
اولاد جفنة حول قبر ابيهم | قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم | بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدرى من يقول هذا
قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشار
الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال ابكيننا فاندفعن يغنين تخفق
عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان | بين اعلى اليرموك فالخمان الى قوله

ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر   وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال اتدري من يقول
هذا قلت لا قال حسان ثم انشد الابيات التي اولها تنصرت الاشراف
الى آخرها ثم سألني عن حسان احي هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولي ايضا
كذلك ثم امر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع
الهدية واقرئه مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق
على قبره قال فلما اخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه علي وضمنت
له قال فهلا ضمنت له الاسلام فاذا افاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما
اراد ثم جهزني عمر ثانية الى هرقل وامرني ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت
القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء
غلب عليه في ام الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يشكون سعد بن ابي وقاص فقال من يعذرني من اهل
الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة
ابن شعبة يا امير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي
الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت انت القوي الفاجر فاخرج اليهم
فلم يزل عليهم ايام عمر وايام عثمان رضي الله عنهما وايام معاوية حتى مات المغيرة
انتهى وقيل دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال له عمر اخبرني عن اجبن من لقيت واحيل من لقيت
واشجع من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين خرجت مرة اريد الغارة فبينما
انا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون
من الرجال خلقا وهو محتبي بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك
فقال ومن انت قلت انا عمرو بن معدي كرب الزبيدي فشهق شهقة
فمات فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت

الى

الی حی فاذا انا بفرس مشدود ورمح مرکوز واذا صاحبه فی وھدۃ یقضی
حاجتہ فقلت خذ حذرک فانی قاتلک فقال ومن انت فاعلمتہ بی فقال
یا اباثور ما انصفتنی انت علی ظھر فرسک وانا علی الارض فاعطنی عھدا
انک لاتقتلنی حتی ارکب فرسی فاعطیتہ عھدا فخرج من الموضع الذی کان
فیہ واحتبی بحمائل سیفہ وجلس فقلت ما ھذا فقال ما انا براکب فرسی
ولامقاتلک فان نکثت عھدک فانت اعلم بناکث العھد فترکتہ ومضیت
فھذا یا امیرالمؤمنین اجیل من رایت وخرجت مرۃ حتی انتھیت الی موضع
کنت اقطع فیہ الطریق فلم ار احدا فاجریت فرسی یمینا وشمالا واذا انا
بفارس فلما دنا منی فاذا ھو غلام حسن نبت عذارہ من اجمل ما رایت
من الفتیان واحسنھم واذا ھو قد اقبل من نحو الیمامۃ فلما قرب منی سلم
علی فرددت علیہ السلام وقلت من الفتی قال الحارث بن سعد فارس
الشھباء فقلت لہ خذ حذرک فانی قاتلک فقال الویل لک فمن انت قلت
عمرو بن معدی کرب الزبیدی قال الذلیل الحقیر واللہ ما یمنعنی من
قتلک الا استصغارک فتصاغرت نفسی یا امیرالمؤمنین وعظم عندی
ما استقبلنی بہ فقلت لہ دع ھذا وخذ حذرک فانی قاتلک واللہ لاینصرف
الا احدنا فقال اذھب ثکلتک امک فانا من اھل بیت ما اثکلنا فارس
قط قلت ھو الذی تسمعہ قال اختر لنفسک فاما ان تطرد لی واما ان
اطرد لک فاغتنمتھا منہ فقلت لہ اطرد لی فاطرد وحملت علیہ فظننت انی
وضعت الرمح بین کتفیہ فاذا ھو صار حزاما لفرسہ ثم عطف علی فقنع
بالقناۃ راسی وقال یا عمرو خذھا الیک واحدۃ ولولا انی اکرہ قتل
مثلک لقتلتک قال فتصاغرت نفسی عندی وکان الموت یا امیرالمؤمنین
احب الی مما رایت فقلت لہ واللہ لاینصرف الا احدنا فعرض علی ما
کان اولی فقلت لہ اطرد لی فاطرد فظننت انی تمکنت منہ فا

حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبب الفرس ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت على نفسى جداً وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطرد لى حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتى لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلنى احب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو انما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وانشد يقول

وكدت اغلاظا من الايمان	ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتجدن لهب السنان	اولا فلست من بنى شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هى قلت اكون صاحبا لك قال لست من اصحابى فكان ذلك اشد على واعظم مما صنع فلم ازل اطلب صحبته حتى قال ويحك اتدرى اين اريد قلت لا والله قال اريد الموت الاحمر عيانا قلت اريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى اتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حى من احياء العرب فقال لى يا عمرو فى هذا الحى الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسى فانزل وآتى بحاجتى واما ان تنزل وامسك فرسك فتأتينى بحاجتى فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك منى فرمى الى بعنان فرسه فرضيت والله يا امير المؤمنين بان اكون له سايسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم تر عيناى احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما ان تحمينى واقود الناقة او احميك وتقودها انت قلت لا بل اقودها وتحمينى انت فرمى الى بزمام الناقة ثم سرنا حتى اذا اصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرأيت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغذ السير ثم قال يا عمرو

انظر

انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليبسوا بشئ فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال اغد ذا السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق وقف وحوّل وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذا هم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها فقال لاحد بنيه اخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل ... من فارس ملتثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل ... ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الاخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رايت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقرن الشديد الهمة
والموت خير من فراق خلتي ... فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن اخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما ارتجي عند فناء عمري ... ساجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول الدهر ... ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري ... وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر ... والعار اهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال انا ابدا فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ انه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعة افراس واربعة اسياف ثم اقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى اين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رايت فقلت اسكتي قالت ان كنت لي صاحبا فاعطني سيفا او رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما انا بمعطيك ذلك وقد عرفت اهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم اقبلت تقول

ابعد شيخي ثم بعد اخوتي	يطيب عيشي بعدهم ولذتي
واصحبن من لم يكن ذا همة	هلا تكون قبل ذا منيتي

ثم اهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رايت ذلك منها خفت ان ظفرت بي قتلتني فقتلتها فهذا يا امير المؤمنين اشجع ما رأيت قيل اتى رجل الى عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت اقوى منك من احد قال نعم خرجت بامرأة من اهلي اريد بها زوجها فنزلت على حوض فاقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فسار رها يعني للمرأة فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ راسي بين عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره منها فقالت اي فحل هذا لو كان منيحة فامهلته حتى امتلا نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه جله فرماني بها فاهواني اي فاتني واصاب راس بعير فقتله فقال عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا احديث الرجل فكرر عليه السؤال

فقم

فلم يزده على هذا فعطن انه قتلها انتهى ويحكى ان عبد الله بن ابى رواحة رضى الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فمضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت افعلتها قال لم اكن فاعلها قالت فاقرا فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

علمت بان وعد الله حق　　وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف　　وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام　　ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

اول دولة بنى امية معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه

جلس يوما فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت وفى مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شئ لاعطينه واستجلب الاجر له او مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبنى هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاء بك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول

معاوی یاذا الجود والحلم والبذل | ویاذا الندی والعلم والرشد والنیل
اتیتک لما ضاق فی الارض مذهبی | فیا غوث لا تقطع رجائی من العدل
وجد لی بانصاف من الجائر الذی | بلانی بشیئ کان ایسره قتلی
سبانی سعدی وانبری لخصومتی | وجار ولم یعدل واغصبنی اهلی
وهم بقتلی غیر ان منیتی | تانت ولم استکمل الرزق من اجلی

قال فلما سمع معاویة کلامه والنار تتوقد من فیه قال له مهلا یا اخا العرب اذکر قصتک وابن لی عن امرک فقال یا امیر المؤمنین کانت لی زوجة وکنت لها محبا وبها کلفا وکنت بها قریر العین طیب النفس وکانت لی جذعة من الابل کنت استعین بها علی قوام حالی وکفایة اودی فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقیت لا املک شیئا فلما قل ما بیدی وذهب مالی وفسد حالی بقیت مهانا ثقیلا علی الذی یألفنی وابعدنی من کان یشتهی قربی وازورّ من لا یرغب فی زیارتی فلما علم ابوها ما بی من سوء الحال وشر المال اخذها منی وجحدنی وطردنی واغلظ علی فاتیت الی عاملک مروان بن الحکم راجیا لنصرتی فلما احضر اباها وسأله عن حالی قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامیر ان رأی ان یحضرها ویسألها عن قول ابیها فیفعل وبعث خلفها فلما حضرت بین یدیه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لی خصما وعلی منکرا واظهر لی الغضب وبعث بی الی السجن فبقیت کانما خررت من السماء واستهوت بی الریح فی مکان سحیق ثم قال لابیها هل لک ان تزوجنیها علی الف دینار وعشرة آلاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابی فرغب ابوها فی البذل واجابه الی ذلک فلما کان من الغد بعث الی واحضرنی ونظر الی کالاسد الغضبان وقال طلق سعدی فقلت لا فسلط علی جماعة من غلمانه فاخذونی یعذبوننی بانواع العذاب فلم اجد لی بدا من طلاقها ففعلت فاعادنی الی السجن فمکثت فیه الی ان انقضت عدتها فتزوجها واطلقنی وقد اتیتک راجیا وبک مستجیرا والیک ملتجئا وانشأ یقول

في القلب مني غرام — للنار فيه استعار
والجسم مني سقيم — فيه الطبيب يحار
وفي فؤادي جمر — والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا — قد معها مدرار
وليس الا بربي — وبالأمير انتصار

قال ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه واخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترا على حرم المسلمين ثم قال لقد اتيتني يا اعرابي بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وانشد يقول

وليت امرا عظيما لست تدركه — فاستغفر الله من فعل امرئ زان
وقد اتانا الفتى المسكين منتحبا — يشكو الينا ببث ثم احزان
اعطي الاله يمينا لا اكفرها — نعم وابرأ من ديني وايماني
ان انت خالفتني فيما كتبت به — لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة — مع الكميت ونصر ابن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكي ثم قام الى سعاد واعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لاتعجلن امیر المؤمنین فقد — اوفی بنذرك فی سر واعلان
وما اتیت حراما حین اعجبنی — فکیف ادعی باسم الخائن الزانی
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت — فیك الامانی علی تمثال انسان
فسوف یأتیك شمس لیس یدرکها — عند الخلیفة من انس ومن جان

ثم ختم الکتاب ودفعه الی الرسولین وسارا حتی وصلا الی معاویة وسلما الیه الکتاب وقراءه فقال لقد احسن فی الطاعة واطنب فی ذکر الجاریة ثم امر باحضارها فلما رآها رای صورة حسناء لم یر احسن منها ولا مثلها فی الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصیحة اللسان حسنة البیان فقال علی بالاعرابی فاتی به وهو فی غایة من تغیر الحال فقال یا اعرابی هل لك عنها من سلوة و اعوضك عنها ثلاث جوار نهد ابکار کانهن الاقمار مع کل جاریة الف دینار واقسم لك فی بیت المال کل سنة ما یکفیك وما یغنیك قال فلما سمع الاعرابی کلام معاویة شهق شهقة ظن معاویة انه مات فقال له معاویة ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابی استجرت بعدلك من جور ابن الحکم فبمن استجیر من جورك وانشد یقول

لا تجعلنی فداك الله من ملك — کالمستجیر من الرمضاء بالنار
اردد سعاد علی حیران مکتئب — یمسی ویصبح فی هم وتذکار
اطلق وثاقی ولا تبخل علیّ بها — فان فعلت فانی غیر کفار

ثم قال والله یا امیر المؤمنین لو اعطیتنی الخلافة ما اخذتها دون سعدی وانشد یقول

ابی القلب الا حب سعدی وبغضت — علیّ نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاویة انك مقر علی انك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخیرها ان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها الیك قال افعل فقال ما تقولین یا سعدی ایما احب الیك امیر المؤمنین فی عزه وشرفه وقصوره وسلطانه و امواله وما ابصرتیه عنده او مروان بن الحکم فی تعسفه وجوره او هذا الاعرابی

في جوعه وفقره فانشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار — اعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج او مروان عامله — وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة للزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وانا احق من يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له وموافاتها ودفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي واخذها وانصرف حتى

ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع فمن اجل ذلك انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه والوليد ابن عقبة وعتبة بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا امير المؤمنين ابعث الى الحسن بن علي احضره لنا قال لهم ولم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيئا الا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته شيئا الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فارسل معاوية فلما حضر قال يا حسن اني لم ارسل اليك ولكن هؤلاء ارسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا حسن هل تعلم ان اباك اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رايت صنع الله تعالى ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد اردنا قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا من الله من ذنب ثم قام عتبة بن ابي سفيان فقال يا حسن ان اباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد اردنا قتل ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة

وقال كلا اما سبا لعلي ونعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله و
اثنى عليه وقال بل ابدا يامعاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن انت تشتمني بغضا
وعداوة وخلافا لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس
وقال انشدكم الله ان الذي شتمه هؤلاء اما كان ابي وهو اول من آمن بالله
وصلى الى القبلتين وانت يامعاوية كافر تشرك بالله وكان مع ابي لواء النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال انشدكم الله
تعالى اما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع
الرسول وقال هو ياكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو ياكل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه يامعاوية اما تعرف ذلك
من بطنك ثم قال وانشدكم الله اما تعلمون ان معاوية كان يقود بابيه وهو على
جمل واخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وانت تعلم
ذلك هذا كله لك يامعاوية واما انت ياعمرو تنازع عليك خمسة من قريش فغلب
عليك شبه الايئم وهو اقلهم حسبا واسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش
فقلت اني شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني لا احسن الشعر اللهم اللعن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت
الى النجاشي بما عملت وعلمت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلا نلومك على بغضك الآن واما انت يا ابن ابي معيط فكيف الومك على سبك
لابي وقد جلدك ابي في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك صبرا بامر جدي وقتله جدي
بامر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يامحمد فقال جدي لهم النار
فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند ابي غير السوط والسيف واما
انت ياعتبة فكيف تعتب احدا بالقتل لم تقتلت الذي وجدته على فراشك
مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف ففي اي
شيء تسب عليا افي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم ام الحكم جائر في

دعيته

رعيته في الدنيا فان قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت
ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة
وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها النخلة
ما علمت بوقوعك فكيف يشق علي طيرانك فكيف يا اعور ثقيف يشق
علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم اقل لكم لا تنتصفون
منه فوالله لقد اظلم علي البيت حتى قام وروي ان معاوية رضي الله
عنه خرج يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق على اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر
الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا مرحبا برجل
تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن رضي الله عنه
كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد امرت
لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال الحسن قد رددته
عليك وانا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقيل ان معاوية رضي الله
عنه جلس يوما بين اصحابه اذ اقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من
كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم واتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا
يا امير المؤمنين احداهما من اليمن والاخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم
وادعوا قريشا يأتوننا واما اهل اليمن ينزلون في اماكنهم الى ان ناذن لهم
بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال تدرون يا اهل قريش
لم اخرت اهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لم
يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا
غدا واخذوا اماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل
ما اقل به اكرامهم وارخص به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم من الجلوس
وسالوا عن شيء فلا يجيبهم احد غيري (قال الراوي) وكان المقدم عليهم
رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على اصحابه وقال اتدرون

يا اهل اليمن لم اخر كم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لانه فى غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقى عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذ تم اماكنكم من الجلوس وسألكم عن شئ فلا يجيبه احد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه واخذوا اماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال ايها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا امير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا فقرأ العربية وتداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وانتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من اقرب العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال لم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فآويناه ونصرناه فانزل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من افصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرأ القيس بن حجر الكندي منا قال فى بعض قصائده

يطعمون الناس غبا	فى السنين الممحلات
فى جفان كالجوابى	وقدور راسيات

وقد تكلم بالقرآن قبل ان ينزل وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال ايها الناس من اقوى العرب شجاعة وكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان فارسا فى الجاهلية وفارسا فى الاسلام وشهد له

بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له معاوية وابن انت وقد اتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن اتى به قال معاوية اتى به علي قال الطرماح والله لو عرفت مقدار ما سلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيها ابدا فقال له معاوية اتحجني يا عجوز اليمن قال نعم احجك يا عجوز مضر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيه سليمان بن داود عليهما السلام وعجوز مضر جدتك التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد قال فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك واعطاه واحسن اليه انتهى قال الراوي وخطب معاوية يوما فقال يا ايها الناس ان الله تعالى قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت عنكم في عطاياكم فقال له الاحنف بن قيس انا والله ما نلومك فيما في خزائن الله ولكن وضعت يدك على ما انزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه ومما يروى عن الشعبي قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد على معاوية بن ابي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال لها يا ابنة الاسد الست القائلة شعرا

شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الايمان
وقد الجيوش وسر امام لوائه	وارمي بابيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية ومن مثلي من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك على ذلك قالت حب علي واتباع الحق قال والله ما ارى عليك من اثر علي شيئا قالت انشدك الله يا معاوية لا تذكر اعادة ما مضى قال هيهات وما مثلك ومقام اخيك يسيئني وما لقيت من اخيك قالت صدقت يا معاوية لم يكن اخي ذميم المقام ولا حقي وهو والله كقول الخنساء

وان صخراً لتأتم الهداة به كانه علم في رأسه نار

وانا اسالك يا معاوية اعفاءك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت يا معاوية انك اصبحت للناس سيداً ولأمور هم والياً والله سائلك عن امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبطش بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدرسنا درس العصفر ويسومنا الخسف ويسلبنا الحيل هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالي واخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما اقررته فعرفناك فقال لها ايقولك تهددينني هممت ان احملك على قتب جمل اشرس واسيرك اليه لينفذ فيك امره فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه قبر فاصبح فيه الحق مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ولم قالت اتيته في رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائماً يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة الك حاجة فاخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد علي وعليهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم اخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذته منه واوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل في احوالها فقالت الي خاصة ام لي ولقومي قال بل انت قالت اذا الفحشاء واللؤم هي والله اما عدلا شاملا والا انا كسائر قومي قال اكتبوا لها بحاجتها هي وقومها ولما اتصلت ميسون بنت بجدل

بمعاوية رضى الله عنه و نقلها من البد والى لنام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه	احب الى من قصر منيف
وآكل كسيرة من كسر بيتى	احب الى من اكل الصنوف
واصوات الرياح بكل فج	احب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عينى	احب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولى	احب الى من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب	احب الى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى ضعيف	احب الى من علج عنيف

قال الراوى فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنيفا حكاية اجنبية عن المقام يحكى ان بهرام لما ولى الملك بعد ابيه اقبل على اللهو واللذات والنزه والصيد ولا يفكر فى ملكه ولا فى رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت فى ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان فى بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذ وهو عند المجوس كالخاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه متوسطا فى سيرهما بين خرابات كانت من امهات الضياع قد خربت فى مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام اترى ان احدا من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت فى الليل البهيم فقال الموبذ ايها الملك انا ممن خصه الله بذلك فقال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعينى نفسك حتى يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابت البومة ان الذى تدعونى اليه لى فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل

والآجل الا انى اشترط عليك خصالا ان اعطيتها اجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبيه منى قالت ان تعطينى من خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما خربت فى ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها الذكر قال الموبذ كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك السعيد اقطعتك منها الف قرية خراب فما تصنعين قالت فى اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من اولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا اسهل امر سألتنيه وانا ملى بذلك ما حى هذا الملك فلما سمع الكلام من الموبذ عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بين وله الناس وخلا بالموبذ فقال ايها القائم بامر الدين والناصح للملك والمنبه له عما اغفله من امور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا فقال الموبذ صادفت من الملك السعيد جدة وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظة على لسان الطائر عند سؤال الملك اياى عما سأل فقال له الملك ايها الناصح اكشف لى عن هذا الغرض ما المراد منه فقال ايها الملك ان الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك فقال الملك اما ما وصفت فحق فابن لى عما اليه تقصد واوضح لى فى البيان قال نعم ايها الملك انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من اطاف بها من الملوك

ولاهم

والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت ايامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل اهـ حكاية اخرى اجنبية حكى عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني الشره في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابني وانا ما اظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فاخبرني بها فقال ايها الامير لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فادركوني واخذوه مني وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وأمر

مناديا ينادي في البصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعدا ثم انشا يقول

هددني خالد بقطع يدي ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فأتوا خالدا واخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به فامر له بطعام فاكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبها تدرأ عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فاقبل يحجل في قيوده ولم يبق احد من النساء الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالبكاء والنحيب فأمر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك سرقته من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم في شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه ويأبى الله الا ما اراده

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها

السكين فبرزت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد ان تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم ... رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه ... حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لانه ... رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه ... كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس واحضر المرأة ثم سالها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا اسالك ان تاذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ قد اذنت ايها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق احد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء ونوح وآخره سرور وفرح وهذه حكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كانها قضيب بان فقال صاحب الشرطة اصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما امكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى فوز بقربها ... فلما تهيا لى المنى عاقنى العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدى ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وانت لم تبكين فقالت والله شفقة على ما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال انحبينه قالت فلم غررت بنفسى قال لها انت حرة ام مملوكة قالت بل مملوكة فامر بها فادخلت الدار واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار واعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساهما وانشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة ... جمعت بها بين المحبين فى ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ ... وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى فى ايام دولة عبد الملك ابن مروان وهو اول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته نسير لي ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا يكون الهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين اى الياسرجية ثم امرهم بما امره به امير المؤمنين وامرهم ان يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهدا ابكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصل كتاب امير المؤمنين متعني الله ببقائه يأمرني فيه ان اشترى له ثلاث جوار مولدات نهدا ابكارا وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها اما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير المؤمنين فانها لطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني اتأذن لي ان اجهزه قال نعم فجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت ريح فانكشفت

احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النحاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعته فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني ما تمل من البكاء .. وقلبي باسهام الاسى يتشقق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لوكان حقا ما تقول لزرتنا ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى ابن النحاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها واراد الهرب بها ففطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة في اثنين ولم توافق في الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانتحال فقالوا يا امير المؤمنين نقول وعلينا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي امير المؤمنين بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشأ يقول هذه الابيات

امير المؤمنين اتيت رغما وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا ام هوى للجارية فقال وحقك يا امير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هي لك بما اعد لها فاخذ الغلام الجارية بكل ما اعد لها امير المؤمنين

من الحلى والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا
ثم ارتحلا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما
ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما
وتعجب من ذلك انتهى وهذه حكاية تشابهها في العشق حكي عن عبد الله بن
معمر القيسي انه قال حججت سنة الى بيت الحرام فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذا سمعت
انينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

اشجاك نوح حمائم السدر ... فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانية ... اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى لحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انني كلف ... مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسبني اهيم بها ... حتى بليت وكنت لا ادري

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد اعاد
البكاء والحنين وانشأ يقول هذه الابيات

اشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برسيسه ... واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كانه ... يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كانه ... ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له ... الا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات اؤم الصوت فما انتهى لاخر الابيات
الا وانا عنده فرايته غلاما كما نزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين

فقلت نعم غلاما فقال وانت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسي قال افلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي افديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت عن بعيد وانا بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كانما صبغت وجنتاه خديه بورس ثم انشد يقول هذه الابيات

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة — تراكم تروني بالقلوب على بعدي

فؤادي وطرفي ياسفان عليكم — وعندكم روحي وذكركم عندي

ولست الذ العيش حتى اراكم — ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستغفر من ذنبك فان بين يديك هول المطلع فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارظان ولم ازل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا بنسوة قد اقبلن واما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوة فسالتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع راسه وانشا يقول

خليلي ريا قد اجد بكورها — وسار الى ارض السماوة غيرها

خليلي اني قد غشيت من البكا — فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر ووالله لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى اشرفنا على ملأ منهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملأ ما تقولون

فی غیبة

فی عتبة وابیه قالوا من سادات العرب قلت فانه رمی بداهیة من الهوی
فارید منکم المساعدة الی السماوة قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم
معنا حتی اشرفنا علی منازل بنی سلیم فاعلم الغطریف بمکاننا فخرج مبادرا
واستقبلنا وقال حییتم یاکرام قلنا وانت حییت انا لك اضیاف فقال
نزلتم باکرم منزل ثم نادی یا معشر العبید انزلوا فنزل العبید ففرشت الانطاع
والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقین طعاما حتی تقضی
حاجتنا فقال وما حاجتکم قلنا نخطب بنتك الکریمة لعتبة بن الحباب بن
المنذر العالی المفخر الطیب العنصر فقال یا اخی ان التی تخطبونها امرها الی نفسها
وانا ادخل واخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الی ریا فقالت یا ابت مالی اری
الغضب بین عینیك فقال ورد علی قوم من الانصار یخطبونك منی
فقالت سادات کرام استغفر لهم النبی صلی الله علیه وسلم فلمن الخطبة
فیهم قال لفتی یعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه یفی
بما وعد ویدرك ما طلب قال اقسمت لا زوجتك به ابدا فقد نمی الی بعض
حدیثك معه قالت ما کان ذلك قال ولکن اقسمت انی ازوجك به قالت
احسن الیهم فان الانصار لا یردون مورد اقبیحا فاحسن الرد قال بای شئ
قالت اغلظ علیهم المهر فانهم یرجعون قال ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا
فقال ان فتاة الحی قد اجابت ولکن ارید لها مهر مثلها فمن القائم به قال
عبد الله فقلت انا فقال ارید لها الف سوارة من ذهب احمر وخمسة آلاف
درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة اکرشة من
العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار
الی المدینة المنورة فاتوا بجمیع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس
لاکل الطعام قال فاقمنا علی هذا الحال اربعین یوما ثم قال خذوا فتاتکم
فحملناها علی هودج وجهزها بثلاثین راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف

وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال والحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض واتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

تصبرت لا انى صبرت وانما ... اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولو انصفت روحي لكانت الى الردى ... امامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا الشجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ما تقدم من العشق وما ورد في كتمان الهوى مع تحقق النظر عندنا علانه ما حكى عن بعض المعمرين من ذوي النعم قال بينما انا في منزلي اذ دخل علي خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الي هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء وتلت خيرا ... ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو منتت شفاء نفسي ... واعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج واتني به فخرج فلم ير احدا فعجبت من امره واحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت اني لم

افعل

انعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهو هبة منى له بمالها وماية دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فليأخذه فمكث الكتاب والذهب ايا مالا يا خذه احد فغمنى ذلك وقلت هذا قنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوما او بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة ... عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجد بها ... فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة ... وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى اخشى عقوبته ... ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى سكنت ... بيت الفؤاد وابدينا امانيها

قال فغمنى امره وقلت للخادم لا يأتينك احد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما انا قد افضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال اتعرفنى فقلت وما انكرك بسوء فقال انا صاحب الكتابين فانكبيت عليه فقلت له يا اخى لقد غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك و مائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك وللجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا ابيت فعرفنى من هى من جوارى لاكرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به اهـ وعدنا الى الكلام على ما وقع فى زمان عبد الملك بن مروان

روى انه لما ولى الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك بن مروان وقد معه ابراهيم ابن محمد بن طلحة وقال اتيتك برجل الحجاز فى الشرف والابوة والفضل والمروة يا امير المؤمنين مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة والله لم يكن فى الحجاز له نظير فبالله عليك يا امير المؤمنين الا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو يا ابا محمد قال له ابراهيم بن محمد بن طلحة قال يا ابا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ائذن له فى الدخول فلما دخل على عبد الملك امر بجلوسه فى صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذكر لنا ما نعرفه من كمال مروتك وحسن نصيحتك فلا تدع فى صدرك حاجة الا اعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر ابى محمد الحجاج فيك قال ابراهيم ان الحاجة التى ابتغى بها وجه الله تعالى والتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى القيامة ونصيحة امير المؤمنين فانا ابديها يا امير المؤمنين قال قل قال لا اقولها وبينى وبينك ثالث قال ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا يعرف اين تطأ رجله فلما مضى قال لى هات نصيحتك فقال ابراهيم يا امير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من نعرف من اولاد المهاجرين والانصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نعلم من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه الى الباطل يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف فليت شعرى اى جواب اعددته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألك فى عرصات القيامة عن ذلك فبالله عليك يا امير المؤمنين الا عزلته واخرتها قربة الى الله تعالى فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخير بغير اهله ثم قال يا ابراهيم قم فقمت على اخسر حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنيا فى وجهى فتبعنى حاجبه وقبض على ردى وجلس بى فى الدهليز ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمكث طويلا فما شككت الا انهما يتشاوران فى قتلى ثم دعانى فقمت ودخلت

فوافانی الحجاج خارجا فعانقنی وقال جزاك الله عنی خیرا فی هذه النصیحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك وترکنی وخرج ودخلت وانا اقول یهزأبی و هو معذور فدخلت علی عبد الملك فاجلسنی مجلسی الاول ثم قال لی قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمین وولیة العراق واعلمته انك استقللت له الحجاز واستدعیت له العراق وانك تطلب له الزیادة فی الاعمال وهو یظن انك السبب فی تولیته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه اینما توجه یوالك خیرا ولا تقطع نصیحتك عنا والله اعلم وفی مروج الذهب للمسعودی وشرح السیرة وغیرهما ان ام الحجاج بن یوسف وهی الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب دبره وابی ان یقبل ثدی امه وغیرها فاعیاهم امره فیقال ان الشیطان تصور لهم فی صورة الحارث ابن کلدة فقال ماخبرکم فقالوا ولد لیوسف الثقفی من الفارعة ولد وقد ابی ان یقبل ثدی امه فقال اذبحوا له تیسا اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخ واولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة ایام ففعلوا فقبل الثدی فی الیوم الرابع فکان لا یصبر عن سفك الدم وارتکاب امور لا یقدر علیها غیره انتهی من حیاة الحیوان فی حرف التاء وحکی ان الحجاج انفرد یوما من عسکره فلقی اعرابیا فقال له یا وجه العرب کیف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شکوته الی عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم علیهما لعنة الله فبینما هو کذلك اذ تلاحقت به عساکره فعلم الاعرابی انه الحجاج فقال الاعرابی ایها الامیر السر الذی بینی وبینك لا یطلع علیه احد الا الله فتبسم الحجاج واحسن الیه وانصرف وذکر اهل التواریخ ان الحجاج بن یوسف الثقفی سهر لیلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال یا خالد ائتنی بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك یطلبون المقام فی المسجد فانتهی الی شاب قائم یصلی فجلس حتی سلم ثم قال اجب الامیر قال ابعثك الامیر الی قاصدا قال نعم فمضی معه حتی انتهی الی الباب فقال له خالد کیف انت ومحادثة الامیر قال سیجدنی کما یحب ان شاء الله تعالی فلما دخل علیه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل

تروى شيئا من الشعر قال ما من شاعر الا وانا اروى عنه قال فهل تعرف من انساب
العرب ووقائعها قال لا يذهب عنى شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب
حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة واربعة
آلاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقى من حديثى اظرفه واعجبه فعاد الحجاج
الى مجلسه وقال حدثنى فقال اصلح الله الامير هلك والدى وانا طفل صغير
فنشأت فى حجر عمى وله ابنة بسنى وكان فى الصبا من التصابى وما كنا فيه اعجوبة
حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها اموالا لجمالها وكمالها فلما
رايت ذلك خامرنى السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة
فملأتها رملا وحصا واقترت راسها ودفنتها تحت فراشى فلما تم على ذلك ايام بعثت
الى عمى فقلت يا عم انى كنت اريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت
ولا يعلمه احد فان حدث بى امر فاخرجه واعتق عنى عشر نسمات واحجج عنى عشر
حجج وجهز عنى عشر رجال بخيولهم واسلحتهم وتصدق عنى بالف دينار ولا تبل
يا عم فان المال كثير فلما سمع عمى مقالتى اتى امرأته فاخبرها بقولى فما كان باسرع
من ان اقبلت بجواريها حتى دخلت على فوضعت يدها على راسى ثم قالت والله
يا ابن اخى ما علمت بسقمك وما حل بك حتى اخبرنى ابو فلان الساعة واقبلت تلاطفنى
وتعالجنى بالادوية وحملت لى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رايت ذلك
تماثلت ثم بعثت الى عمى فقلت يا عمى ان الله عز وجل قد احسن الى وعافانى فابتغ
لى جارية من خصالها وكمالها وجمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيته
فقال يا ابن اخى ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هى من اعز خلق الله تعالى على غير انى
قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل امها وهى الآن قد
سمحت ورضيت بذلك قلت شانك فرجع الى امرأته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها
فزوجونى اياها فقلت عجل على بابنة عمى كيف شئت ثم اريك الخابية فاهديت
الى ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على واحضرتها بكل ما

وجدت اليه سبيلا واخذ عمى متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا
فى كل صباح من قبل ابويها الطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بايام اتانى
عمى وقال يا ابن اخى انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا
صابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جآء بالرجال و
الحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما بطحها كان فيها ما
عملت فما كان باسرع من ان جآءت امها بجواريها فلم تدع فى منزلى كثيرا ولا
قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفاء فهذا حالى اصلح الله
الامير فانا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال الحجاج يا غلام مر
للفتى بثياب ديباج وفرس ارمنية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم
وقال يافتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج
قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما ابطأ ابن عمى
اقتل ام مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى ابشرى وقرى
عينا فانى دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى
فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها وامها واخوتها
صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك ولا
جزاك عنى وعن ابن اخيك خيرا الجفيته وضيعته حتى اصابته الخفة وذهب عقله
اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخى ما حالك فقلت والله ما بى من باس الا انى دخلت
على الحجاج وذكر له من امره ما كان وانه امر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته
هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى المعالج
فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويمهله اخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما
ادخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء
كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال
لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان

بعد ايام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل بالفتى فقال اصلح الله الامير ما رايته
منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه احدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسي
على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخي لفي
شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله قال لا ادري ما تقول لا بد من الذهاب
به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن اخي ان الحجاج قد بعث في طلبك
افا حلك قال لا الا بين يديه فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى ادخل
على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله
وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب من اوله وحدثه بحديثه فعجب
الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى ما كنا قد امرنا له فقبض المال جمع وحسن
حاله ولم يزل مسامر الحجاج حتى مات انتهى وحضر اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام
فاكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم
قال من اكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكلها وبقي الاعرابي ينظر
الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع
ياكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له بصلة وحكى ان الحجاج امر
صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف
ليلة فوجد ثلاث صبيان يتمايلون وعليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم

من انتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

انا ابن من دانت الرقاب له	ما بين مخزومها وهاشمها
تأتي اليه الرقاب صاغرة	ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المؤمنين وقال الثاني

انا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره	وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره	فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب وقال الثالث

انا ابن الذی خاض الصفوف بعزمه	وقوّمها بالسيف حتی استقامت
وكاباه لا تنفك رجلاه منهما	اذا الخيل فی يوم الكريهة ولت

فاسئل عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما اصبح رفع امرهم الی الحجاج فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانی ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم ثم اطلقهم وانشد

كن ابن من شئت واكتسب ادبا	يغنيك محموده عن النسب
ان الفتی من يقول ها انا ذا	ليس الفتی من يقول كان ابی

وقيل امر الحجاج بقتل اسری فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل يا حجاج ان كنا اسأنا فی الذنب فما احسنت فی العفو والله تعالی يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتی اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله فی الكفار فكيف بالمسلمين

وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسری ولكن نفكهم	اذا اثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج اف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم قال الراوی ولما ولی الحجاج العراق قال علی بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس فی وقعة ابن الزبير تحرضين الناس علی قتل رجالی ونهب اموالی قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الی وزرائه وقال ما ترون فی امرها فقالوا عجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما اضحكك قالت وزراء اخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم فی موسی فقالوا ارجه واخاه ای انظره الی وقت آخر وهؤلاء يسئلونك تعجيل قتلی فضحك الحجاج وامر لها بعطاء واطلقها وحكی ان هند بنت

النعمان كانت احسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية	سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها	وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مائتى الف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا الف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم هى لك بشارتك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها لنفسه فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب ولغ فى الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين انى لا اجرى العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى انت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها اولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وارسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وارسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة

بلدہ هند فركبت هند فى محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترحل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فاخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتى اكشفى لى ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكى يا هند يا طول ليلة	تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

وما بنالى اذا ارواحنا سلمت	بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع	اذ النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى ان قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من امرها ما كان اذكر فى حياة الحيوان قال عون بن ابى شداد العبدى بلغنى ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لى فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلوته ثم رد عليهم السلام فقالوا له ارسل الحجاج اليك فاجبه قال ولابد من الاجابة قالوا لابد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا

ما نراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسا لى من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا فانت نبى من الانبياء قال ما انا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير واوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول على فى الصومعة لمكانكم فدخلوا واوتروا القسى فاذاهم بلبوة قد اقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك واصبحوا نزل اليه وساله عن شرائع الاسلام وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه واقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل وصلوا عليه وقالوا يا سعيد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رايناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه لابد من الرجوع لخالقى ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست اشك ان اجلى قد حضر وان المدة قد انقضت فدعونى الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر ونكير واذكر عذاب القبر وما يحثى على من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون فقالوا لبعضهم لا نريد اثرا بعد عين قال بعضهم قد بلغتم امنيتكم واستوجبتم جوائزكم من الامير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو على ادفعه اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد قد دمعت عيناه واغبر لونه ولم ياكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والجاوبته له قال كفيله اسألك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك ابدا فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله

فلما

فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال له اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقى ابن كسير قال بل امى كانت اعلم باسمى منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك لها قال فما قولك فى محمد قال نبى الرحمة قال فما قولك فى على انى الجنة ام فى النار قال لو دخلتهما وعرفت اهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقى قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيمة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير فى شئ جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر اى قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة الا قتلك الله مثلها فى الآخرة قال افتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده وقال له ما اضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدى فذبح

على النطع رحمه الله فكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله عنه تسعا واربعين سنة والله اعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان يعطينى اكياس الدنانير اقسمها فى الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قائدا وذكر ان جملة ما انفق على بناء المسجد الاموى اربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما ادرج فى اكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

فما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عاملك فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا ارفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه يخشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه اطلق من سجن الحجاج ثلثمائة

الف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز
وزيرا ومشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان
ياكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته
بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه وقال ابو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت
على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج
الاخضر فى وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن
احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح
على الاشجار وتمايلت فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال يا ابا زيد فى مثل هذا الحين نصابحنا فقلت اصلح الله
الامير اوقامت القيامة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال يا ابا زيد
ما يطيب فى يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها
غادة هيفاء ملفوفة لفاء اشربها من كفها واسمح فى بخدها فاطرق سليمان مليا
لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأين الوصائف ذلك تنحين عنه
ثم رفع رأسه فقال يا ابا زيد حضرت فى يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم
عمرك والله لاضربن عنقك او لتخبرنى ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم
ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا انا بجارية قد خرجت
من باب القصر كانها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى
يبين منها بياض ثدييها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صفراوان قد
اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذوائب تضرب حقويها ولها صدغان كانهما
نونان وحاجبان قد تقوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وانف كانه
قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلى
وعلاج من لا يسمى طال الحجاب وابطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس

والهة والفؤاد مختلس والنوم مختبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان امرا جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت راسها فقلت ايتها الجارية انسية انت ام جنية سماوية اما رضية فقد اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترني ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله اصلح الله الامير ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان يا ابا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا زيد ان تلك الجارية التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

كانما الذلفاء ياقوتة ... اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله انه مات انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بعضها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فاخذها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل في اكل وشرب وسمر وراتم حبور الى ان انصرف شئ من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان ايضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قال غننا بصوت كذا او كذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

مجحوبة سمعت صوتي فارقها | من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها | اوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق | فدمعها الطرد رق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم | وكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة الالات ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ماهذا يا ذلفاء فقالت

الا رب شخص رائع ومشوه | تهيج الحيا واصح الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله | الى امة يعزى معا والى العبد

فقال سليمان دعيني من هذا الحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني الشمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى وقيل كان في ايام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكانوا يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمي قد رايت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتي الى

ان يأتيني الموت فاغلق بابه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا
وكان بعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة
ابن بشر فقال عكرمة للفياض ما حاله فقالوا انه قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق
بابه ولزم بيته وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا
ولا مكافيا فقالوا لا فامسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى اربعة آلاف
دينار فجعلها في كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج سرا من اهله فركب
ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس
من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة
فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم
امسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك
في هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفني قال فما اقبله الا ان عرفتني من انت
فقال انا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى
ابنة عمه فقال لها ابشري فقد اتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة
قومي فاسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير
ولا يصدق واما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته فقدته وسألت عنه
فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو
من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا الى زوجة او سرية فقال اعلمي انني
ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا
الوقت وانا اريد ان يعلم بي احد قالت لا بد ان تخبرني قال تكتميه اذن قالت فاني
افعل فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال اتحبين ان
احلف لك ايضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت واما خزيمة لما
اصبح صالح الغرماء واصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك
وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فاخبره

عكانه.

بمكانه وكان مشهورا ببرو ته وكرمه وكان سليمان به عارفا فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما ابطاك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا امير المؤمنين قال فبم نهضت الينا الآن قال لم اعلم يا امير المؤمنين الا انى بعد هدو من الليل لم اشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصة من اولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ما عرفته يا امير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وما سمعت من لفظه الا انى جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروته ثم قال على بقناة فاتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما اقترب منها خرج عكرمة واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما بعضا ثم سار جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الامارة و امر ان يوخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول اموال كثيرة فطالبه باداءها قال مالى الى شئ من سبيل قال لابد منها قال ليست عندى فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم انفذ اليه من يطالبه فارسل يقول انى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فاقام شهرا او اكثر فاضناه ذلك فاضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضى الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولى عندى نصيحة فاذا طلبت منك فقولى لا اقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولى له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافاته بالحبس والضيق و الحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامر لوقته بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه اهل البلد فجمعهم اليه واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا فى قاعة الحبس

متغيرا اضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس
احتشم ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى اكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه
رأسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا
ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه
فقال عكرمة ماذا تريد فقال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم
عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد
الانصراف عنه فقال ما انت ببارح قال وما تريد قال اغير حالك وان حيائي
من ابنة عمك اشد حياء منك ثم امر بالحمام فاخلي ودخلاه معا فقام خزيمة
وتولى امره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار
معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك
قال ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم
بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل
الحاجب فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم بغير
امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة
قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت
ان اسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة
الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من
مجلسه وقال يا عكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب
حوائجك كلها وما تحتاج اليه في رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته
وامر له بعشرة الآف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة و
ارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان شئت ان تبقيه وان شئت عزلته
قال بل ردده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين
لسليمان مدة خلافته والله اعلم

خلافة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو تابعي جليل قال الامام احمد بن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضي الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا ازال ما كانت بنو امية تذكر به رضي الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولي الخلافة رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه ايام لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وانشد يقول هذه الابيات

يا ايها الرجل المرخي عمامته ... هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيئا من امرهم ثم مر بهم عدي بن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة ... قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي ما لي وللشعراء قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلعم قد امتدح واعطى ولك في رسول الله اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها كلامه قال او تروي من قوله قال نعم وانشد يقول

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما اصبح الحق مظلما

ونورت بالبرهان امرا مدنسا ... واطفأت بالاسلام نارا تضرما

فمن مبلغ عني النبي محمدا ... وكل امرئ يجزى بما كان قدما

اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ... وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال اليس هو الذي

يقول شعرا

ثم نبهتها فهبت كعابا طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل على والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال او ليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة كما انقض باز أكتم الرأس كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود ادعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها يفر بها عني واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل بن معمر قال او ليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان امت يوافق موتي موتها وضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا فهل احد سوى من ذكرت قال جرير قال او ليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله

ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التى منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة او كانت له قدرا ... كما اتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا ارى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن سبيل منقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى فاخذها جرير وقال والله لهى احب الى مما اكتسبته فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسؤكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت الى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوى مائة الف درهم قال فلما اقتربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه واصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما انا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت ان تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر ... فلذ لى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فامرتها فغنت

جوهرة حار قلبى فى محاسنها ... فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا العشاء ثم قال ما اقدمك
علينا هذا البلد قلت اردت بيع جاريتي هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضي
به ديني واصلح به حالي قال ثلاثون الفا قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد فيه
قال يقنعك اربعون الفا قلت فيها قضاء ديني وابقى صفر اليد قال قد اخذناها
بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك واشركك في
حالي ابدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك
واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء
مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال
لاحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني
وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطائي وغلطي وقلت ماذا
صنعت بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو وهب اني
عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخلوا اصحابي
دمشق وجلست حائرا لا ادري ما اصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت
بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت
على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هناك فلما اضحى النهار واذا احد الغلامين
اللذين كانا معه قد اقبل علي فما اذكر اني سررت بشيء اعظم من سروري ذلك
الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي ابطأنا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم
قال لي اتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن هشام ولي العهد فسكت عند ذلك
ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره فدخلت
اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من امرك قالت انزلني
هذه الحجرة وامر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا انا قد اتاني خادم له
فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على
سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك

بضنين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك فى ليلتك قلت بخير اعزك الله
قال فلعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتى الى رجل
لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان اندم
ولو اهديتها الى الامير كانت اقل واخس وما قدر هذه الجارية فقال والله ولكنى
ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفنى وقد دهمته وسفهت عليه فى
استعجالى لاخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتنى هذه الجارية بخمسين
الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام
الف دينار فأتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار اخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك نضمه
اليك وهذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاع لاهلك
رضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله قد ملأت عينى ويدى ثم قال والله
انى لم ادخل بها ولا شبعت من غنائها على بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست
فقال لها غنى فانشدت تقول شعرا

ايا من حاز كل الحسن طرا ويا حلو الشمايل والدلال
جميع الحسن فى عجم وعرب وما فى الكل مثلك يا غزالى
فاعطف يا مليح على محب بوعدك او بطيف من خيال
حلالى فيك ذلى وافتضاحى وطاب لمقلتى سهر الليالى
وما انا فيك اول مستهام فكم قبلى قتلت من الرجال
رضيتك لى من الدنيا نصيبا وانت اعز من روحى ومالى

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبى لها وتعليمى اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة
بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا
الامر قد افضى الى فالحق بى فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنينك
ما بقيت قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى
والله بوعده وزاد فى اكرامى وكنت معه على احسن حال واسنى منزلة وقد اتسعت احوالى

وكثرت اموالى وصار لى من الضياع والاملاك ما يكفينى الى مماتى ويكفى من بعدى ولم ازل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لما حج هشام فى ايام ابيه طاف بالبيت و جهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين على بن ابيطالب رضى الله عنهم اجمعين وكان من احسن الناس وجها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من اهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان ابو فراس الفرزدق حاضرا فقال انا اعرفه فقال الشامى من هذا يا ابا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته　　والبيت يعرفه والحل والحرام
هذا ابن خير عباد الله كلهم　　هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها　　الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت　　عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته　　ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق　　من كف اروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته　　فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته　　كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته　　طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله　　بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدرا وعظمه　　جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره　　العرب تعرف من انكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما　　يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره　　يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

حمال اثقال اقوام اذا افترحوا حلو الشمائل يحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

عم البرية بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت والاسد اسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم سيان ذلك ان اثروا وان عدموا

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خلق كريم وايد بالندى هضموا

اى الخلائق ليست فى رقابهم لاولية هذا او له نعم

من يعرف الله يعرف اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذ له زين العابدين رضى الله عنه اثنى عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نعيد فيه فقبلها الفرزدق اه

ومما يحكى ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب فتبعه واحالته الى خباء اعرابى يرعى غنما فقال هشام يا صبى دونك هذا الظبى فأتنى به فرفع الصبى رأسه اليه وقال له يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام يا صبى ويلك ما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لا قرب دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا

عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فاتى به
فلما راى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة
لم يكترث بهم ولم يسال عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه
الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع
من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت
اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق
فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي قد حضرت في يوم حضر فيه اجلك وخاب
فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله يا هشام لئن كان في المدة تاخير
ما ضرني من كلامك قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس
العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا لقيت الخذل ولازمك
الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
فاذا كان الله يجادل جدلا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام
واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف علي براس هذا الغلام فقد اكثر الكلام فيما
لا يخطر على الاوهام فقام السياف واخذ الغلام وبركه في نطع الدم وسل سيف
النقمة على راسه وقال يا امير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب في رمسه اضرب
عنقه وانا بريء من دمه قال نعم فاستاذنه فاذن له ثم استاذنه ثالثة فهم ان ياذن له
فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبي اظنك معتوها
ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وانت تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين
لئن كان في المدة تاخير ولم يكن في الاجل تقصير ما ضرني منك قليل ولا كثير ولكن
ابيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلي لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات
واوجز فهذا اول اوقاتك من الآخرة وآخر اوقاتك من الدنيا فانشا يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور في اظفاره ... والباز منهمك عليه يطير

فاتى لسان الحال يخبر قائلا ... ها قد ظفرت وانى ماسور

مثلى فما يغنى لمثلك جوعة ... ولئن اكلت فاننى محقور

فتبسم الباز المدل بنفسه ... طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا
من اول وقت من اوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه درا
وجوهرا واحسن جائزته ودعه يمضى الى حال سبيله وقيل وفد عروة بن
اذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه فقره فقال الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ... ان الذى هو رزقى سياتينى

اسعى اليه فيعيينى تطلبه ... وان قعدت اتانى ليس يعيينى

وخرجت الآن من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا امير المؤمنين وعظت
فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان الليل نام هشام على
فراشه فذكر عروة فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد على فرددته خائبا
فلما اصبح وجه اليه بالفى دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فاعطاه المال
فقال ابلغ عنى امير المؤمنين السلام وقل له كيف رايت قولى سعيت فاكديت فرجعت
خائبا فجلست فى دارى فاتانى رزقى فى منزلى انتهى

ابتداء دولة العباسية

كان القائم بهذه الدولة ابو مسلم الخراسانى وكان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله هذه
الابيات

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا

مازلت اسعى بجهدى فى دمارهم ... والقوم فى غفلة والناس قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم احد

ومن رعى غنما فى ارض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذكر ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن خالد بن صفوان انه دخل يوما على ابى العباس

السفاح وليس عنده احد فقال يا امير المؤمنين اني والله ما زلت منذ قلدك الله
خلافته اطلب ان اصير معك بمثل هذا الموقف في الخلوة فان رأى امير المؤمنين
ان يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا امير المؤمنين
اني فكرت في امرك واستجليت الفكر فيك فلم ار احداً له قدرة واتساع في الاستمتاع
بالنساء ولا اضيق فيهن عيشاً منك انك ملكت نفسك امراة من نساء العالمين
فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت
يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ بما تشتهي منهن فان منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها
والبيضاء التي تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف
واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى
من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه
اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعي ما اشغل خاطري
والله ما سلك مسامعي كلام احسن من هذا فاعد علي كلامك فقد وقع مني موقعاً
فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقي ابو العباس
مفكراً فدخلت عليه ام سلمة زوجته وكان قد حلف لها انه لا يتزوج عليها ولا يتخذ
عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له اني لانكرك يا امير المؤمنين
فهل حدث شئ تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى اخبرها بمقالة
خالد فقالت له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها اينصحني وتشتمينه فخرجت الى مواليها
وامرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسروراً بما القيت الى امير المؤمنين
ولم اشك في الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسألوا عني فحققت الجائزة فقلت لهم
ها انا واقف فاستبق الي احدهم بخشبة فغمزت برذوني فلحقني وضرب كفل البرذون
فركضت ففتهم واستخفيت في منزلي اياماً ووقع في قلبي اني أتيت من ام سلمة
فبينما انا ذات يوم جالس في المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا علي فقالوا اجب امير المؤمنين
فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم ار دم شيخ اضيع من دمي

٨/ وكن

ركبت الى دار امير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسنى ثم قال يا خالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا امير المؤمنين اعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر وان احدا لم يكن عنده من النساء اكثر من واحدة الا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك اولا ومر فى حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك اولا قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان ابكار الاماء رجال الا انه ليست لهن خصاء قال امير المؤمنين افتكذبنى قلت افتقتلنى قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت واخبرتك ان عندك ريحانة قريش وانك تطمح بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك فقال السفاح ما لك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) ان ابا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له ابو دلامة اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب والصيد فقال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك عشر ضياع غامرة من فيافى بنى اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين مائة ضيعة عامرة من فيافى بنى سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسالة و

ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى وروى عن الحسن بن الحصين قال لما افضت الخلافة الى بنى العباس كان من جملة ما اختفى له ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى ان اضناه واضجره الاختفاء فاخذ امان من السفاح وكان ابراهيم رجلا اديبا بليغا حسن المحاضرة فحظى عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثنى باعجب ما رايت فى اختفائك فلم ايام تكدر فقال يا امير المؤمنين وهل سمع باعجب من حديثى لقد كنت مختفيا فى منزل انظر منه الى البطحاء فبينما انا على مثل ذلك واذا باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع فى ذهنى انها خرجت تطلبنى فخرجت متنكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير فى رحبة منيعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآنى واقفا مرتابا فقال لى ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة فى داره فقال هذه لك وهيأ لى ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده ووالله ما سألنى قط من انا ولا ممن اخاف وهو فى اثناء ذلك يركب فى كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيئا فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك تركب فى كل يوم وتعود متعوبا متاسفا كانك تطلب شيئا فاتك فقال لى ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابى وقد بلغنى انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلى اجده آخذ بثارى منه فتعجبت والله يا امير المؤمنين من هروبى وشؤم بختى الذى ساقنى الى منزل رجل يريد قتلى ويطلب ثاره منى فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالنى من الشدة فسألت الرجل عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك واقرب عليك الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم اين

هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله هو انا فخذ بثارك مني فقال الى اطن ان الاختفاء اضناك فكرهت الحياة قلت نعم والله انا فتلته يوم كذا وكذا فلم اعلم صدق في تغير لونه واحمرت عيناه واطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الي وقال لي اما ابي سيلقاك غدا يوم القيمة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية واما انا فلست مخفرا ذمتي ولا مضيعا تربيتي اخرج عني فاني لا آمن نفسي عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم رجل رايت فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب

وعن الهيثم بن عدي قال كان ابو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة في مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندي وناس من بني الحارث ابن كعب وهم اخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمي فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر اولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم من مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شئ له خطر الا واليهم ينسب فرس رائع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة او درة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخر هم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال ابو العباس السفاح ما اظن التميمي يرضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان اذنت في الكلام تكلمت وان اذنت في الكلام فتكلم ولا تهب احدا فقال اخطأ يا امير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات

وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل الصلاة
والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا متباعدين فيه عزوا وله اكرموا فمنا النبي صلى الله عليه
والسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم المقام والمنبر والركن
والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع مالا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر
فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي
واسد الله وسيد الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله واتاهم اليقين
فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال اعالم انت
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميذن
قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية
قال الزب قال فما اسم الذئب قال الكنيع قال افمؤمن انت بكتاب الله قال نعم قال فان
الله تعالى يقول انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي
مبين وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا
نزل الم تر ان الله قال العين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال السن بالسن
ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال
يجعلون اصابعهم في آذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
ولم يقل بزبي وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكنيع ثم قال اسألك عن
اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول
منا او منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت
الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد

هذه الاربع فهو لكم

خلافة ابي جعفر المنصور

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية
تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان

يحاسب على الدوانق فكان اذا جاء شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون
احد يحفظها او احد انشاءها اى بان كان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك لها جائزة
وان لم يكن احد يحفظها نعطك زنة ما هى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة
فيحفظها الخليفة من اول مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها منى و
ينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين
مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى
خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها
فيذهب الشاعر بغير شئ قال الراوى وكان الاصمعى من جلسائه او ندمائه
فنظم ابياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على
ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير
عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا
العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هى مكتوبة عليه

فانشد الاصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبلى	هيج قلب الثملى
الماء والزهر معا	مع زهر لحظ المقلى
وانت يا سيد دلى	وسيدى ومولى لى
وكم وكم تيمنى	غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته	باللثم ورد الخجلى
وقلت بس بسنى	فلم يجد بالقبلى
وقال لا لا لا لا	وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا	من فعل هذا الرجلى
وولولت ولولة	ولى ولى يا ويللى
فقلت لا تولولى	وبينى اللؤلؤ لى

لما راته اشمطا	يريد غير القبلي
وبعدها ما يكتفي	الا بطيب الوصلي
قالت له حين كذا	انهض وجد بالنقلي
وفتية سقونني	قهيوة كالعسلي
ثم متها في انفقي	ازكى من القرنفلي
في وسط بستان حسن	بالزهر والسرولي
والعود دندن دنلي	والطبل طبطبطبلي
والرقص ارطب طبطبلي	والسقف سقسقسقلي
شوواشا هوا شووا	على ورق سفرجلي
وغرد القمري يصيح	من ملل في مللي
فلو تراني راكبا	على حمار اهزلي
يمشي على ثلاثة	كمشية العرنجلي
والناس ترجم جملي	في السوق بالقلقللي
والكل كعكع كعكع	خلفي ومن حوليلي
لكن مشيت هاربا	من خشية العقنقلي
الى لقاء ملك	معظم مبجلي
يأمر لي بخلعة	حمراء كالدم دملي
اجز فيها ماشيا	مبغددا للذيل
انا الاديب الالمعي	من حي ارض الموصلي
نظمت قطعا زخرفت	تعجز الادب لي
اقول في مطلعها	صوت صفير البلبلي

(قال الراوي) فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات الذي هي مكتوبة فيه نعطيك زنته

فقال يا مولاى انى لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد ابى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فى خزينته من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الاصمعى فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعى فتعجب منه ومن صنيعه واجازه على عادته ثم قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عيال وانت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه الجارية فاذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله اعلم وذكر الغزالى وابن بليان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملاء سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فائتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال اجب امير المؤمنين فلما دخل عليه قال ما الذى سمعتك آنفا تشكوا الى الله من ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى فقال له يا امير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا انت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الارض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين هل دخل احدا من الطمع ما دخلك استرعاك الله امور المؤمنين واموالهم فاهملت امورهم واهتممت بجمع اموالهم فجعلت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفر استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا احد الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا على ان لا يصل اليك من اموال الناس

الا ما اراد وافصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم
الى بابك وجدك او قفت رجلا ينظر فى مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك
علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوّف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت انت
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا يكون نكالا لغيره وانت ترى ذلك
ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنى امية اذا انت اليهم الظلامة ازيلت فى الحال
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذى به
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك عينا الا
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بى وانما ابكى لمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعى ذهب فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لا يلبس
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد احدا
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة فى الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هى اجسم من الغاية التى انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت منى العباد ولم تقربنى والصالحون ولم يدخلوا على فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعودوا اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما اقضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

٥/ الرك

الركن اليمانى فقال له اجب امير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن
يضرب عنقى فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه
رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات
شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا
فاخذه صاحب الشرطة واتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا
والله يا امير المؤمنين ثم قص عليه القصة فامر المنصور بنقله وامر له بالف دينار وهو
هذا اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت
بما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى
سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم وغم
اصبحت او امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى
وسترك على قبيح عملى اطمعنى ان اسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا
واسألك مستأنسا فانك انت المحسن الى وانا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد
الى بالنعم واتبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد
بفضلك واحسانك على انك انت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (و
حدث عبد الله البلتاجى) قال دخل ابن ابى ليلى على ابى جعفر المنصور
وكان ابن ابى ليلى قاضيا فقال ابو جعفر ان القاضى قد يرد عليه من طرائف الناس
ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال على يومى قال والله
يا امير المؤمنين قد ورد على منذ ثلاثة ايام امر ما ورد على مثله اتتنى عجوز تكاد ان تنال
الارض بوجهها او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضى ان يأخذ لى بحقى و
ان ينصفنى على خصمى قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لى فدعوت بها فجاءت امرأة
ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت الشابة اصلح الله القاضى
امرها فلتسكت حتى اتكلم بحجتى وحجتها فان لحنت بشئ فلترد على فان اذنت لى اسفرت

فقالت العجوز ان اسفرت فضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأننا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيري وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اغتسل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدا مني
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فی هذا و قتا و قد قال و من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن له ان یتزوج
ابنة اخیها و هی فی عدته فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینه و بینها استیفاء لها او
مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما قومی الی منزلک انتهی و ذکر
المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة و ما جری علیهم و انهم عاشوا سعداء
و ماتوا فقراء فقال له اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبد الله بن مروان بن محمد فی حبسک
و له قصة مع ملک النوبة فاحضره و اساله عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر
المؤمنین و رحمة الله و برکاته فقال المنصور رد السلام امن و لم تسمح نفسی بذلک
و لکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت
ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی و دفنت لکل واحد الف دینار
و اوسقت خمس بغال و شددت فی وسطی جوهر الدقیمة عظیمة و خرجت هاربا
الی بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما الی فقلت امض الی هذا الملک و اقرئه السلام
و خذ لنا منه الامان و ابتغ لنا مسیرة فمضی و ابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل و معه
رجل فدخل و سلم و قال الملک یقرئک السلام و یقول لک من انت و ما جاء بک الی
بلادی امحارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک و قل له ما
انا بمحارب و لا راغب فی دینک و لا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب
الرسول و رجع الی و قال الملک یقول لک انی اجیء الیک غدا فلا تحدث نفسک
حدثا و لا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی و جلست من الغد
ارقبه و اذا هو قد اقبل و علیه بردان قد ائتزر باحدهما و ارتدی بالآخر حافی الرجلین
و معه عشرة معهم الحراب ثلاثة یقدمونه و سبعة خلفه فاستصغرت امره و سولت
لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة
آلاف عنان و وافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطئ له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكت باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال قل لي كيف سلبتم هذا الملك
فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
بغير راينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها ما لا طاقة
لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تخطوا زرعهم في طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اخاف
ان ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك وبعث بي
اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن علي في عنقي تبعة هذا قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا و
يجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في زماني منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال له اعرابي ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران
لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لي حاجة غيرها

فقال لكتابه اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده
ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون
من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى
قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه
عند المنصور بان عنده اموالا لبنى امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره
فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا
لبنى امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث
لبنى امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما فى يدى من اموال بنى امية ولست بوارث لهم
ولا وصى فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بنى امية ظلموا الناس وغصبوا اموال
المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال
الذى لبنى امية هو الذى فى يدى وانه هو الذى غصبوه من الناس وان
امير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التى
اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع
صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما
هى قال ان تجمع بينى وبين من سعى فى اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبنى امية عندى
مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف
واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح
لما سألتنى عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما
فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى
فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا قال اردت قتله
ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفى بين يديك
وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لى فاستحسن
المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رايت مثل هذا الشيخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من جحني مثله ولا رايت مثل حلمه ومروته انتهى

خلافة المهدى

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشيد قال قلت للهيثم بن على باى شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وانزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله قد احببت قال اعلم انه وفى الربيع الحاجب حين افضت الخلافة الى المهدى وقال له استأذن لى على امير المؤمنين فقال له من انت وما حاجتك قال انا رجل قد رايت لامير المؤمنين اعزه الله رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرنى له فقال الربيع يا هذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه رأى لامير المؤمنين ايده الله رؤيا حسنة وقد احب ان يقصها عليك فقال المهدى يا ربيع انى والله ارى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤيا وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له ما رايت بارك الله فيك قال رايت يا امير المؤمنين آتيا اتانى فى منامى فقال اخبر امير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك انه يرى فى ليلته الآتية فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدهم ثلاثين ياقوتة كانها قد وهبت له فقال المهدى ما احسن ما رايت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان الامر على ما ذكرت اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعيد يا امير المؤمنين فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلي وعيالي واخبرتهم اني كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله
ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدي فكيف نعمل فقال يعجل لي امير المؤمنين
اعزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق اني قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال
وقال له من يكفلك فمد عينيه الى خادم حسن الوجه والزي وقال هذا يكفلني
فقال له المهدي اتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين نكفله
وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة
رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف واصبح سعيد فوافى الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عين المهدي عليه قال له اين مصداق ما قلت لنا عليه
فقال له سعيد وما رأى امير المؤمنين فضجع في جوابه فقال له امرأتي
طالق ان لم تكن رايت شيئا قال له المهدي ما اجراك على هذا الحلف بالطلاق
فقال لاني احلف على صدق قال له المهدي فقد والله رايت ذلك مبينا
فقال له سعيد الله اكبر فانجز لي يا امير المؤمنين ما وعدتني قال حبا وكرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان
كفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال
الخادم كيف وقد رأى امير المؤمنين ما ذكرته قال هذا من المخاريف التي لا اب
لها وذلك لما القيت له هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل له ما حل في قلبه واشتغل به فكره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معي على
ثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دينار وعشر تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فاوهت فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافاتك على

كفالتك فاستتر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده النفقة على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فعاربه فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيلها فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرق الدجى فوجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	مرفرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وصاحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
الطالبها شيئا فقالت بعبرة ... اموت به داء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت اغثنى يا غلام فجاءنى ... وقد زلقت رجلى ورحت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه ... تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ار قط اظرف منه ولا احسن ثيابا وبيده الواحدة على صدره فلما دنوت منه انشا يقول

الله يعلم اننى كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لى روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد
واظن ظاعنتى كشاهدتى ... بمكانها تجد الذى اجد

فقلت احسنت والله لله درك يا مجنون فاهوى بشىء برمينى به فبعدت عنه فقال لى اشدتك ما تجيد واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشدك شعرا ايضا فقلت نعم فانشا يقول

ما اقتل البين للمحب وما ... اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد ... اسرع فى مهجتى وفى كبدى
يا حسرة ان ابيت معتقلا ... بين اعتلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان قتلونى فحرق الكبد ... او كشفونى فناحل الجسد
اضعف ما بى وزادنى الما ... ان لست اشكو النوى الى احد

الاما اراد وافصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وانت غافل عنهم د
الى بابك وجدك او قفت رجلا ينظر في مظالم الناس فان كان الظا
على صاحب المظالم بالمظلوم وسوّف من وقت الى وقت فاذا اجتهد
صرخ بين يديك فضربه اعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وانت
ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة از
ولقد كنت اسافر الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك
قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله لك
من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بي وانما ابكي لمظلوم يصرخ با
فلا اسمعه ثم قال ان كان سمعي ذهب فان بصري لم يذهب نادوا في الناس لا
احد ثوبا احمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفي النهار ويدور في البلد لعله
لابسا ثوبا احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك غلبت
رأفته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا امير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما اجمع المال
لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك والقرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من
الاموال والرجال والكراع حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمع للولد فقد
اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئا بل ربما مات
فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما اجمعه لغاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله
ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم
قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد ولم تقربني والنصاحون ولم يدخلوا علي فقال
يا امير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم وخذ المال مما حل وطاب
واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال المنصور نفعل
ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما انقضى صلاته طلب
الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند

به ثم بغى عليه لينصرنه الله
ج العمة لم يكن له ان يتزوج
بين بينه وبينها استيفاء لها و
الى منزلك انتهى وذكر
عليهم وانهم عاشوا سعداء
ن مروان بن محمد في جيشك
ال السلام عليك يا امير
ين ولم تسمح نفسي بذلك
يا امير المؤمنين كنت
كل واحد الف دينار
وخرجت هاربا
واقرئه السلام
ثم اقبل ومعه
بك الى
تل له ما
ذهب
ك
اغد

فقالت العجوز ان اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت
اخي هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه
اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأننا ريحانتان ما يظن ان الله
خلق غيري وما اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح على بما رزقه الله تعالى
فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوقتها
وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجيني
ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير امر ابنة اخي الي قال قد صيرت
امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان
يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي اتأذنين لي ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت
عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى ربيبتنا
قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا ان نعزيها بمصيبتها
فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك
بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي
وما الشرط قلت تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت امرها بيدك قلت
فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة قالت فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم
فاقام عندي ما اقام ثم انه اغتسل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الاول الصيرفي
يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل علي قال لي يا فلانة
انك لتعلمين انك كنت اعز الناس علي واحبهم الي وقد حلت المراجعة فهل لك
في ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
قلت فاني قد طلقتها ثلاثا ثابتة اصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما اعتدائي
عليها فقالت العجوز انا فعلت مرة وفعلت هي مرة بعد اخرى فقالت ان الله وقت

فی هذا وقتاو قد اقال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغی علیه لینصرنه الله
فواحدة بواحدة والبادی اظلم فقال القاضی ان زوج العمة لم یکن له ان یتزوج
ابنة اخیها وهی فی مدته فارادت العجوز ان تتولی التفریق بینه وبینها استیفاء لها او
مجازاة لها علی فعلها فقلت لها قد فرقت بینکما قومی الی منزلک انتهی وذکر
المنصور یوما فی مجلسه زوال ملک بنی امیة وما جری علیهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال له اسماعیل بن علی الهاشمی ان عبد الله بن مروان بن محمد فی حبسک
وله قصة مع ملک النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام علیک یا امیر
المؤمنین ورحمة الله وبرکاته فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسی بذلک
ولکن اقعد فقعد فقال ما قصتک مع ملک النوبة فقال یا امیر المؤمنین کنت
ولی عهد ابی فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانی ودفنت لکل واحد الف دینار
واوسقت خمس بغال وشددت فی وسطی جوهر الدقیمة عظیمة وخرجت هاربا
الی بلاد النوبة فلما اقربنا بعثت غلاما لی فقلت امض الی هذا الملک واقرئه السلام
وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا میرة فمضی وابطأ حتی اسات به الظن ثم اقبل ومعه
رجل فدخل وسلم وقال الملک یقرئک السلام ویقول لک من انت وما جاء بک الی
بلادی امحارب ام راغب فی دینی ام مستجیر بی فقلت له رد علی الملک وقل له ما
انا بمحارب ولا راغب فی دینک ولا ممن یبتغی بدینه بدلا بل مستجیر به فذهب
الرسول ورجع الی وقال الملک یقول لک انی اجیء الیک غدا فلا تحدث نفسک
حدثا ولا شیئا من المیرة فقلت لاصحابی افرشوا الفرش ففرش لی وجلست من الغد
ارقبه واذا هو قد اقبل وعلیه بردان قد ائتزر باحدهما وارتدی بالآخر حافی الرجلین
ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة یقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لی نفسی قتله فلما قرب اذا سواد عظیم قلت ما هذا قالوا الخیل فوافی بها عشرة
آلاف عنان ووافت الخیل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس علی الارض
قال فقلت لترجمانه لم لم یقعد علی الموضع الذی وطیء له فسأله فقال قل له انه

ملك وكل ملك حقه ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكث باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال لي كيف سلبتم هذا الملك
فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو اقرب منا قرابة اليه
فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون
الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة
وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا
بغير راينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها مالا طاقة
لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطوا زرعهم في طلب دراج قيمته
نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع
قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم واتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز
والبسكم الذل ونصر اعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني اخاف
ان ينزل بك النقمة اذ كنت من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت
فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك
ثم وثب قائما وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك وبعث بي
اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال
له اسمعيل بن علي في عنقي تبعة هذا قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا و
يجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام
فقال ايها الناس ينبغي لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في زماني منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال له اعرابي ان الله اكرم من
ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له
المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران
لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال ما لي حاجة غيرها

فقال لكتابته اكتب الى عاملنا بالمدينة من اتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده
ثمانين واجلد الذي جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون
من يشتري ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) احمد بن موسى
قال ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة ولا اظهر حجة من رجل رفع فيه
عند المنصور بان عنده اموالا لبني امية فامر المنصور حاجبه الربيع ان يحضره
فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا ان عندك ودائع واموالا وسلاحا
لبني امية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا امير المؤمنين انت وارث
لبني امية قال لا قال فلم تسأل اذن عما في يدي من اموال بني امية ولست بوارث لهم
ولا وصي فاطرق المنصور ساعة ثم قال ان بني امية ظلموا الناس وغصبوا اموال
المسلمين فقال الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد ان المال
الذي لبني امية هو الذي في يدي وانه هو الذي غصبوه من الناس وان
امير المؤمنين يعلم ان بني امية كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال المسلمين التي
اغتصبوها على ما يتهم امير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع
صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء ثم قال للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما
هي قال ان تجمع بيني وبين من سعى في اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبني امية عندي
مال ولا سلاح وانما احضرت بين يديك وعلمت ما انت فيه من العدل والانصاف
واتباع الحق واجتناب المظالم فايقنت ان الكلام الذي صدر مني هو انجح واصلح
لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما
فقال يا امير المؤمنين هذا اخذ لي خمسمائة دينار وهرب ولي عليه مسطور شرعي
فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعي كاذبا قال اردت قتله
ليخلص لي المال فقال الرجل قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفي بين يديك
وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار اخرى لكلامك لي فاستحسن
المنصور فعله واكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما

رایت مثل هذا الشیخ قط ولا اثبت من جنانه ولا من جحفی مثله ولا رایت مثل حلمه ومروّته

خلافة المهدی

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داؤد بن رشید قال قلت للهیثم بن علی بای شیٔ استحق سعید بن عبد الرحمن ان ولاه المهدی القضاء وانزله منه تلک المنزلة الرفیعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدی ظریف فان احببت شرحته لک قلت والله قد احببت قال اعلم انه فی الربیع الحاجب حین افضت الخلافة الی المهدی وقال له استأذن لی علی امیر المؤمنین فقال له من انت وما حاجتک قال انا رجل قد رایت لامیر المؤمنین اعزه الله رؤیا صالحة وقد احببت ان تذکرنی له فقال الربیع یا هذا ان القوم لا یصدقون فیما یرونه لانفسهم فکیف بما یراه لهم غیرهم فاحتل بحیلة غیر هذه فقال له ان لم تخبره بمکانی سألت من یوصلنی الیه واخبره انی سألتک الاذن لی علیه فلم تفعل فدخل الربیع علی المهدی فقال له یا امیر المؤمنین انکم قد اطمعتم الناس فی انفسکم فقد احتالوا علیکم بکل ضرب فقال له المهدی هکذا تصنع الملوک فماذا قال رجل بالباب یزعم انه رأی لامیر المؤمنین ایده الله رؤیا حسنة وقد احب ان یقصها علیک فقال المهدی یا ربیع انی والله اری الرؤیا لنفسی فلا تصح لی فکیف یمکن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم یقبل قال هات الرجل قال فادخل علیه سعید وکان له رؤیا وجمال ومروّة ظاهرة ولحیة عظیمة ولسان طلق فقال له ما رایت بارک الله فیک قال رایت یا امیر المؤمنین آتیا اتانی فی منامی فقال اخبر امیر المؤمنین انه یعیش ثلاثین سنة فی الخلافة وآیة ذلک انه یری فی لیلته الآتیة فی منامه کانه یقلب یواقیت ثم یعدها فیجدهم ثلاثین یاقوتة کانها قد وهبت له فقال المهدی ما احسن ما رایت ونحن نمتحن رؤیاک فی لیلتنا المقبلة علی ما اخبرتنا فان کان الامر علی ما ذکرت اعطیناک فوق ما ترید وان کان الامر بخلاف ذلک لم نعاقبک لعلمنا ان الرؤیا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعید یا امیر المؤمنین فماذا اصنع انا الساعة

اذا صرت منزلى وعيالى واخبرتهم انى كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله
ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدى فكيف نعمل فقال يعجل لى امير المؤمنين
اعزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق انى قد صدقت فامر له بعشرة
آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال
وقال له من يكفلك فمد عينيه الى خادم حسن الوجه والزى وقال هذا يكفلنى
فقال له المهدى اتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين نكفله
وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة
رأى المهدى ما ذكره له سعيد حرفا بحرف واصبح سعيد فوافى الباب واستأذن
فأذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال له اين مصداق ما قلت لنا عليه
فقال له سعيد وما رأى امير المؤمنين فتلجلج فى جوابه فقال له امرأتى
طالق ان لم تكن رايت شيئا قال له المهدى ما اجراك على هذا الحلف بالطلاق
فقال لانى احلف على صدق قال له المهدى فقد والله رايت ذلك مبينا
فقال له سعيد الله اكبر فانجز لى يا امير المؤمنين ما وعدتنى قال حبا وكرامة
ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب
من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذى كان
كفله وقال له سالتك بالله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال
الخادم كيف وقد رأى امير المؤمنين ما ذكرته قال هذا من المخاريف التى لا اب
لها وذلك لما القيت له هذا الكلام خطر ببالِه وحدث به نفسه واسر به قلبه
واشتغل به فكره ففى ساعة نام خيل له ما حل فى قلبه واشتغل به فكره فنام
فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معى على
ثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة
آلاف دينار وعشر تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فاوهت فبهت الخادم
وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد اصدقتك وجعلت ذلك مكافاتك على

كفالتك فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده الفضا
على العسكر فلم يزل حتى مات انتهى (ويحكى) ان المهدى خرج يتصيد فعاربه
فرسه حتى دخل الى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فاخرج له
قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه
قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم
امير المؤمنين الخاصة قال له بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه
فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة
قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه
ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير
المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة واوكاها وقال
والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه
واحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال
له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال انتهى (وقيل) كان لاسماء
بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد
واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس ليثنيها
فمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها
فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال ابو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار
فتركها مدة فاتفق له انه خرج من القصر ليلة وقد رفرق الدجى فوجدها
نائمة سكرانة فتقرب منها وحل سراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية
من البكارة فارتاع وظن انه يكون اتاها ادم فلم يجد وقام عنها وندم على
ما كان منه واخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر	مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها	طويلا وملحب الكواعب من امرى

فمازلت بالاشعار حتى خدعتها   وروضتها والشعر من خدع السحر
الطالبها شيئا فقالت بعبرة   اموت به داء ودمعتها تجري
فلما تعانقنا توسطت لجة   غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت اغثني يا غلام فجاءني   وقد زلقت رجلي ورحت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه   تداركني بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمري لاركبت سفينة   ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية اجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه فلم ار قط اظرف منه ولا احسن ثيابا وبيده الواحدة على صدره فلما دنوت منه انشأ يقول

الله يعلم انني كمد   لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تملكها   بلد واخرى حازها بلد
وارى القيامة ليس ينفعها   صبر وليس لمثلها جلد
واظن ظاعنتي كشاهدتي   بمكانها تجد الذي اجد

فقلت احسنت والله درك يا مجنون فاهوى بشيء يرميني به فبعدت عنه فقال لي اشدتك ما تجيد واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان علي فقلت له اخطأت فقال اذن اعترفت بخطائك ثم قال انشدك شعرا ايضا فقلت نعم فانشأ يقول

ما اقتل البين للمحب وما   اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد   اسرع في مهجتي وفي كبدي
يا حسرة ان ابيت معتقلا   بين اعتلاج الهموم والسهدي

فقلت احسنت والله زدنا فقال

ان فتشوني فحرق الكبد   او كشفوني فناحل الجسد
اضعف ما بي وزادني الما   ان لست اشكو النوى الى احد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يافتى اراك كلما انشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب وخل اريب ثم قال حسبك ابا العباس المبرد بالله انت هو قلت انا ذلك فمن اين عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا ابا العباس انشدني من شعرك شيئا تنتعش به روحي فانشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ... ومن بكائي بكت عيناي اذ رحلوا
يا منزل الحي اين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق اذا ما سيقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل ... عينا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يبعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين اعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف او شارب ثمل
لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجن ناظرها ... ترنوالي ودمع العين منهمل
يا حادي العيس عرج بي اودعهم ... يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لا انسى مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال ابو العباس المبرد فلما اتممت شعري قال لي ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

خلافة موسى الهادي ابن محمد

لم ار فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضعه قال بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف امر بان من راى فيه شيئا فليضعه فرايت هذا النثر واليسير مذكورا في تاريخ الاسحاقي فاجبت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب لسكردان

ان الهادی کان یوما فی بستان یتنزه علی حمار ولا سلاح معه وبحضرته
جماعة من خواصه واهل بیته فدخل علیه حاجبه واخبره ان بالباب بعض
الخوارج له باس ومکاید وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادی بادخاله فدخل
علیه بین رجلین قد قبضا علی یدیه فلما ابصر الخارجی الهادی جذب یدیه
من الرجلین واختطف سیف احدهما وقصد الهادی ففر کل من کان حوله وبقی
وحده وهو ثابت علی حماره حتی اذا دنا منه الخارجی وهم ان یعلوه بالسیف
اوما الی وراء الخارجی واوهمه ان غلاما وراءه وقال یا غلام اضرب عنقه
فظن الخارجی ان غلاما وراءه فالتفت الخارجی فنزل الهادی مسرعا عن حماره
فقبض علی عنق الخارجی وذبحه بالسیف الذی کان معه ثم عاد الی ظهر حماره
من فوره واتباع الهادی ینظرون الیه ویتسللون علیه وقد ملئوا منه حیاء
ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فی ذلک بکلمة. ولم یفارق السلاح بعد ذلک الیوم
ولم یرکب الا جوادا من الخیل فانظر الی هذا المقدار فی ثبات جاش الملوک
فانه قل من یفعل ذلک وهذه مرتبة لم یصل الیها احد الا نادرا (حکی عن
عبد الحق) انه قال مما ابتلی به الهادی من المحبة انه کان مغرما بجاریة تسمی
غادرا وکانت من احسن النساء وجها واطیبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دینار
فبینما هو یشرب مع ندمائه اذ فکر ساعة وتغیر لونه وقطع الشراب فقیل له
ما بال امیر المؤمنین قال وقع فی قلبی انی اموت وان اخی هارون یلی الخلافة
ویتزوج غادرا فامضوا واتونی براسه ثم رجع عن ذلک وامر باحضاره وحکی
له ما خطر بباله فجعل هارون یترفق به فقال لا ارضی حتی تحلف لی بکل
ما حلفت به انی اذا مت لا تتزوج بها فرضی بذلک وحلف ایمانا عظیمة ودخل
الی الجاریة وحلفها ایضا علی مثل ذلک فلم یلبث بعد ذلک سوی شهر ومات
وولی الخلافة هارون الرشید فطلب الجاریة فقالت یا امیر المؤمنین کیف
تصنع بالایمان فقال قد کفرت عنک وعنی ثم تزوج بها ووقعت فی قلبه

موفقا عظيما وافتتن بها اعظم من اخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة اذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رايت اخاك الهادى الساعة فى النوم

فانشد فى هذه الابيات

اخلفت عهدى بعد ما	جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى	ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخى	صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد	ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصباح	وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكانت الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه احلام الشيطان فقالت كلا والله يا امير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقى

بعدها انتهى

خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدى

هو اخو موسى الهادى وهو خامس بنى العباس قال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الخلافة حين ولى الرشيد بعد اخيه موسى الهادى

الم تران الشمس كانت مريضة	فلما اتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه	فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابى حين ولى هارون الخلافة فقيل له فيم جئت قال اتيت برسالة قال ائت بها قال اتانى آت فى منامى فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش	تزف اليكما ابدا عروسا
الى هارون تهدى بعد موسى	تميس وما لها ان لا تميسا

فاعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه بويع له بالخلافة فى الليلة التى توفى فيها

اخوه وولد فی تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فی بنی العباس مات فيها خليفة وولی فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيی بن خالد بن برمك وزارته وسيأتی ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك ويحكی ان هارون الرشيد مر فی بعض الايام وصحبته جعفر البرمكی واذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت المنام
كی استريح وتنطفی	نار تاجج فی العظام
دنف تقلبه الاكف	علی بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام من منقولك قالت من قولی قال ان كان كلامك صحيحا فامسكی المعنی وغيری القافية فانشدت تقول

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الوسن
كی استريح وتنطفی	نار تاجج فی البدن
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامی فقال ان كان كلامك ايضا فامسكی المعنی وغيری القافية فقالت

قولی لطيفك ينثنی	عن مضجعی وقت الرقاد
كی استريح وتنطفی	نار تأجج فی الفؤاد
دنف تقلبه الأكف	علی بساط من حداد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فلم سكت

(المعنى وغير القافية فقالت)

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي	نار تأجج في الضلوع
دنف تقلبه الأكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المؤمنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي راعي الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من اخذها فتوجه جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى امير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن واقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسألها من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك انت يا امير المؤمنين فترغرغت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فاعجبته

نداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحيت منه وقالت يا

(امين الله ما هذا الخبر فاجابها بقوله)

قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر

(فاجابته تقول)

بسرور وهناء سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل امير المؤمنين من بالباب من الشعراء قيل له ابو نواس فامر به فدخل عليه فقال له هات على يا امين الله ما

(هذا الخبر فانشأ يقول)

طال ليلي حين وافاني السهر	فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت امشي في المجال ساعة	ثم اجري في مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق	زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا	فدنت مني ومدت للبصر
واشارت لي بقول مفصح	يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق في ارضكم	هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي	اخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب امير المؤمنين من ذلك وامر له بصلة (ويحكى) ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبها والريح ابان نهدها كانهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ وآتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احدا يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم تجي فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من

بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال
لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاث
(ابيات وانشأ يقول)

انسلوها وقلبك مستطار	وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما	فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول)

اما والله لو تجد بن وجدي	لما وسعتك في بغداد دار
اما يكفيك ان العين عبرى	ومن ذكراك في الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك	كلام الليل يمحوه النهار

(وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك اربعة ابيات وانشأ يقول)

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح اردافا ثقالا	وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها	من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت	كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كانك كنت معنا او مطلعا علينا وامر لكل بخلعة
سنية وخمسة آلاف درهم ولأبي نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر)
الخطيب في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة
جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها
حتى لم ير من جسدها شيئا فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه
وقال من بالباب من الشعراء قالوا ابو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فلما حضرا
فقال الرشيد ليقل كل منكما ابياتا توافق ما في نفسي فانشأ بشار يقول

تحيتكم والقلب صار اليكمو	بنفسي ذاك المنزل المتحبب

اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة	وذكراهم يبنى الى محبب
وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا	فكيف وانتم حاجتى تتجنب
على انهم احلى من الشهد عندنا	واعذب من ماء الحياة واطيب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما فى نفسى فقل انت يا ابا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء	فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت	بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها	الى ماء معد فى اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت	على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التدانى	فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل	فظل الماء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها	كاحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المؤمنين قال امعنا كنت قال لا والله ولكن شئ خطر ببالى فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه انتهى

ويحكى ان امير المؤمنين الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما اصبح قال على بالاصمعى فخرج الطواشى الى البوابين فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا احدا خلف الاصمعى فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا اصمعى اريد منك ان تحدثنى باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاث ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثنى حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينما انا اتلفت يمينا وشمالا اذا انا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله ... فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ... ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الي ورقة فنظرت بخط في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية على بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدواة مفضضة واقلام مذهبة

فانشأت اقول

احدث عن خود تحدثن مرة ... حديث امرئ ساس الامور وجربا

ثلاث كبكرات الصباح حواقل ... حللن بقلب للمشوق معذبا

خلون وقد نامت عيون كثيرة ... من الرأي قد يشهون ان تتغيبا

فبحن بما يخفين من داخل الحشا ... نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عز عزيزة ... وتبسم عن عذب المقالة انسبا

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظا كان اعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت تنفسطت الوسطى وقالت تطربا
وما زارني في النوم الا خيا له فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
واحسنت الصغرى وقالت مجيبة بلفظ لها قد كان اشهى واعذبا
بنفسي واهلي من ارى كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا
فلما تدبرت الذي قلن وانبرى لي الحكم لم اترك لذي اللب متعبا
حكمت لصغراهن في الشعر انني رايت الذي قالت هو الحق اصوبا

قال الاصمعي ثم دفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص و تصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي اقامة فنزلت عن الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن اعلمك انني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر في كم اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لي بصرة فيها ثلثمائة دينار وقالت هذا صار لي وهو مني لك هبة في نظير حكومتك فقال لي امير المؤمنين لاي شيء حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى فقلت له يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك

ان بيت الكبرى قالت

عجبت له ان زار في النوم مضجعي وهو محمول معلق على شرط قد يقع ولا يقع واما الوسطى مر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت انها ضاجعة مضاجعة حقيقة وشمت منه انفاسا اطيب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو اعز من النفس فقال الخليفة احسنت يا اصمعي ثم دفع الي ثلثمائة دينار

فاخذتها وانصرفت نكنت اقول لله درك من شعر اخذت فى حكومتى منه
ثلثمائة دينار وفى حكاية مثلها والله اعلم ومما حكى عن الاصمعى فى نوادره
قال سهرت ليلة عند الرشيد فى الرقة فقال لى من معك يا عبد الله يؤنسك
فقلت يا امير المؤمنين مالى انيس غير الوحدة فاسلك واقبل فى حديثه ماشاء
الله ثم نهض ونهض من بحضرته فلما صرت الى منزلى واذا بخادم الامير يقرع الباب
فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رآنى الخادم دنا منى وقبل
يدى وقال لى يقول لك امير المؤمنين قد امرنا لك بمن يؤنسك وهى جارية من
خواصه وشئ من المال فشكرت امير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال
الجارية ومعها من الآلات والخدم والجوارى والفرش ما لم ار مثله الا عند امير المؤمنين
ثم ودعنى الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رايتها احسن الناس وجها واكملهم
قدا وشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فداخلنى لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا
الحياء البارد السمج الذى لا وجه له ابن ملحان ونوادرك ثم قالت لجارية من الجوارى
هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من الوان الطعام فاكلنا وهى مع
ذلك تباسطنى وتوانسنى بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت و
سقتنى ثم قالت ما بقى بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست
من الثياب ما ارادت والبستنى ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا
ثم اضطجعت الى جانبى فلما جمعنا الفراش اصابنى من الحصر وانقطاع الانعاظ
ومخاوة الاير ما لم اكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد
الا انكماشا وموتا فلما اعيتها الحيلة فيه ويئست من قيامه ومضى من الليل اكثره
قالت عظم الله اجرك فى ايرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بقمط
فاخرجت منه مناديل صغارا وحنوطا وقالت نم على ظهرك يا بطال فاستولى على
الخجل حتى انى لم اقدر اخالفها فى شئ مما تأمرنى به فى جميع ما تفعله فى غسلته
وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن فى بكاء

ونحيب ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وما زالوا على ذلك الى وقت السحر ثم قالت ما بقى الا ما يتولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وانا احزن خلق الله حالا فلبست ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد فانكر الحجاب حضورى فى ذلك الوقت واعلم الرشيد بى فأذن لى فدخلت و هو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك ما دهاك فى هذا الوقت فقلت يا امير المؤمنين خبرى عجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما رحمتنى وارحتنى من هذه الجارية التى انفذتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى امير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد ان يستلقى على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية فى الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم امر بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها فى منزلى وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى ان توفيت رحمة الله عليهم اجمعين

وعن ابى اسحق ابراهيم الموصلى قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الايام للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فاتيت منزلى واخذت فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه وامرت البوابين بغلق الابواب وان لا يأذنوا لاحد بالدخول على فبينما انا فى مجلسى والحرم قد حففن بى واذا بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى راسه قلنسوة و بيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار و الرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين فسلم على احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثنى باحاديث العرب و اشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب وظننت ان غلمانى تحروا مسرتى لادخاله

مثله على لادبه وظرفه فقلت هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئا فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت اما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذنى واقتراحه على حتى سمانى باسمى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيد ونكافئك فتبرمت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال احسنت يا سيدى ثم قال اتأذن لى فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله فى ان يغنى بحضرتى بعد الذى سمعه منى فاخذ العود وجسه فوالله خلت ان العود ينطق بلسان عربى واندفع يغنى هذه الابيات

ولى كبد مقروحة من يبيعنى	بها كبدا ليست بذات قروح
اباها على الناس ان يشترونها	ومن يشترى ذا علة بصحيح
ائن من الشوق الذى فى جوانحى	انين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت تجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى

ثم اندفع يغنى فقال

الا يا حمامات اللوى عدن عودة	فانى الى اصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتننى	وكدت باسرارى لهن ابين
دعون بترداد الهدير كانما	شربن الحميا او بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما	بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
لئن هتفت ورقاء فى رونق الضحى	على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة	وابديت من شكواى ما لم اكن ابدى

وقد زعموا ان المحب اذا دنا	يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا	على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع	اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت اعده على فقال لست تحتاج الى اعادة فقد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يديه فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم غدوت نحو ابواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجواري اي شيء سمعتن فقلن سمعنا غناء اطيب شيء واحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا اي شيخ فوالله مادخل اليك اليوم احد فرجعت لتأمل امره فاذا هو قد هتف بي من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا ابا اسحاق فانما هو ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود وضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم انك تداخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم امر لي بصلة فاخذتها وانصرفت انتهى وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسمعيل ابن صالح بن علي وهو صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى يجيئني عائدا فتعلل فقال الفضل لاسماعيل الا تعود امير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل واكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم امر فاخرج جواري يغنين وضربت ستارة وامر بسقيه فلما شرب اخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر اسماعيل وجعل في عنقه سبحة وجوهها

عشر حبات من در شراؤها بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يغني شعر الوليد بن يزيد في غالية اخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته وهي التي ينسب اليها

سوق الغالية فقال

فاقسم ما ادنيت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة	من الدهر الا قد اصابت فتى مثلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال الرمح يا غلام فجيء بالرمح فعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ اخاه عبد الملك ولايته فقال عني والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي تخل عن الطواف حتى يطوف امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوى بين الانام والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فلما سمع الرشيد من الاعرابي ذلك واعامره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي فاستلمه ثم اتى الرشيد الى المقام ليصلي فسبقه الاعرابي فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام الي والسعي فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابي وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال الاعرابي ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوي فعظم ذلك على الرشيد

ويسمع مالم يكن في ذهنه وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد
وقال يا اعرابي اريد ان اسالك عن فرضك فان انت اقمت به فانت بغيره اقوم
وان انت عجزت عنه فانت اعجز فقال الاعرابي سؤالك هذا سؤال تعلم
ام سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابي
قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثى على ركبتيه بين يدي
الاعرابي فقال قد جلست فاسأل عما بدالك فقال له اخبرني عما افترض الله عليك فقال
له تسألني عن اي فرض عن فرض واحد ام عن خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة
وثلاثين ام عن خمسة وثمانين ام عن واحدة في طول العمر ام عن واحدة من اربعين
ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم
قال له سألتك عن فرضك فاتيتني بحساب الدهر قال يا هرون لولا ان الدين
بالحساب لما اخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين قال فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هارون
ولم يقل له يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالى عصمه منه
وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذي انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد
يا اعرابي ان فسرت ما قلت نجوت والا امرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة
فقال له الحاجب يا امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف
قال فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا
منكما اذ لا ادري ايكما اجهل الذي يستوهب اجلا قد حضر ام يستعجل اجلا لم
يحضر قال فهال الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابي اما
سؤالك عما افترض الله علي فقد افترض علي فرائض كثيرة فقولي لك عن فرض
واحد فهو دين الاسلام واما قولي عن خمسة فهي الصلوات واما قولي لك عن
سبعة عشر فهي سبعة عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات

واما قولى لك عن خمسة وثمانين فهى التكبيرات واما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى حجة الاسلام واحدة فى طول العمر كله واما قولى لك واحدة من اربعين فهى زكاة الشياه شاة من اربعين شاة واما قولى لك خمس من مائتين فهى زكاة الورق قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل وامن حسن كلام الاعرابى وعظم الاعرابى فى عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابى سألتنى فاجبتك وانا اريد ان اسألك فأجبنى قال قل فقال الاعرابى ما تقول فى رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا اخا العرب لقد اوقعتنى فى بحر لم يخلصنى منه غيرك فقال له انت خليفة ليس فوقك شئ ولا ينبغى ان تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتى وانا رجل بدوى لا قدرة لى فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهى اكراما لى ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدرى بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال ان قولى لك عن رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة غيره وقت الفجر فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة الاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لى بها ورد

الى اصحابها فقال له اريد ان اجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذى
اجرى عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم

يقبل عنه شيئا ثم انشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا ... فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما ابغى بشئ لبس يبقى ... واتركه غدا للوارثينا
كانى بالتراب على يحثى ... وبالاخوان حولى نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه ... وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى ... لانتقمن منهم اجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب ... فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وساله عن اهله وبلاده فاخبره انه موسى
الرضى ابن موسى كاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد باقر ابن على ابن الحسين بن على بن ابى طالب
رضوا الله عنهم اجمعين وكان يتزيا بزى اعرابى زهدا فى الدنيا وتباعدا عنها فقام
اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله اعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة
الله عليهم اجمعين وقال السجستانى) ارق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعى والى
حسين الخليع فاحضرهما وقال عللانى وابدأ انت يا حسين فقال حسين نعم يا امير المؤمنين
خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبى بقصيدتى
فقبلها وامرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فاصابنى
حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقى فاذا انا بجارية كانها قضيب تتثنى
وسنا العينين ازجة الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلنارى ورداء عدنى
قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلالأ من تحت القميص بثديين كرمانتين
وبطن كطى القباطى وعكن كالقراطيس لها جمة جعدت بالمسك محشوة وهى
يا امير المؤمنين متقلدة حرزا من الذهب والجوهر يزهو بين نهديها وعلى صحن
جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان

وانف اقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على اكباد محبيها في مشيتها وقد خالط اصوات نعلها خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها		كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب اصابني عطش افتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت وهل يا سيدتي على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت هيهنا طريقه وهذا اوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الاوقات اوجب حديثا في هذا القرب فتنفست الصعداء وارخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم انشأت تقول

وكنا كغصني بانة فوق روضة		نشم جنى اللذات في عيشة رغدا
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع		فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على حائطهم احسب انها هو وربما اراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذريني فانت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتنة في ارض البصرة قالت والله قبل محبة هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى انتني هذا الغلام قلت يا هذه فما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر وحديثي و

نسخة: بانت

حدثني بشار من الشوق وذلك اني كنت قعدت في يوم نيروز ودعوة عدة من
مستظرفات البصرة من النساء الجميلات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز و
كان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بي ولعه فلما دخلت رمت
بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا
ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني والاعبها فتارة انا فوقها وتارة هي فوقي فحملها
السكر الى ان ضربت يدها الى تكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي
مسلاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك
وصدف عني صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا
فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسأل بجمعته فلا ينظر الي بطرف ولا يكتب الي بحرف ولا
يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو ام من العجم فقالت
ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو ام شاب فنظرت الي شزرا
وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد امرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه
شيء غير انحرافه عني قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت اجتهد في لقائه
فاتعرف الفصل بينكما قالت على شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت
اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابي السخاء وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار يا جوار الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة
سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبي عن تقصيري ودعائي ان دعوته هجنة
وبرعونه ولولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك
من كتابة هذه الرقعة معنى مع ياسها منك لعلمها بتركك الجواب سيدي جد بنظرة
وقت اجتيازك في الشارع الى المربد لتحيي بها نفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها
الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في
الليالي الخاليات التي انت ذاكر لها سيدي الست لك محبة مدنفة فان رجعت
سقيمة
الى الاجابة كنت لك شاكرة وبعد خادمة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فلبسته

غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محفلا باللؤلؤ ورأيت غلاما زان المجلس
وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة
فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد فوقفت
على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء له وناولته
الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لى يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان
تنظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار اخرجوا الربد فاذا انا بجارية نخا بوطية الكبر
ناهدة الثديين تمشى مشية مستوجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبى
عنها فلما قرأتها اصفرت وعرفت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به فخرجت
يا امير المؤمنين وانا اجر رجلى حتى اتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك فقلت
البؤس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدر ثم امرت لى بخمسمائة دينار
ثم جزت بعد ايام ربابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا اصحاب ضمرة
يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا امير المؤمنين
شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فاوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية
سيدتى لولا ابقائى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت
شطر غبنى عليك وسلكت ظلامتى قبلك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسى و
المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى والله المستعان
على ما كان من سوء اختيارك والسلام واوقفت على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة
فاذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال
الرشيد لولا ان ضمرة لسبقنى اليها لكان لى معها شأن من الشؤن انتهى
وحكى مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا شديدا ليلة من الليالى فقال يا
مسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن
معمر العذرى فقلت له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل
معى الى ان صار بين يدى هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وامره

بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا
امير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورايته او ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني
عما عاينته ورايته فقال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنك
قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش
النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم يا امير
المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت آلفها اذ هي سولي وبغيتي من الدنيا
وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني
اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها
فقمت وشددت رحلي على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست اطماري وتقلدت
بسيفي وتنكبت بحجفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت اجد في السير فسرت
وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال
اسمع زئير الاسد وعواء الذئاب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل
عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك اذ غلبني
النوم فاخذت بي الناقة عن غير الطريق التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا انا بشيء لطمني
في راسي فانتبهت فزعا مرعوبا فاذا انا باشجار وانهار وماء واطيار على تلك الاغصان
تزعق بلغاتها والحانها واشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن
ناقتي واخذت زمامها بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك
الاشجار الى ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري
الى اين اذهب ولا الى ما يسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية فلاحت
لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت طالبا لها الى ان وصلت الى تلك النار
فقربت منها وتاملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل وقفة
وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شان عظيم فاني لا ارى
في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى جانب الخباء وقلت السلام عليكم يا اهل الخباء

ورحمة الله وبركاته فخرج الي من الخباء غلام من ابناء تسعة عشر سنة كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب اني اظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك ارشدني يرحمك الله تعالى فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان علي من اطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فاضرمها واججها ثم دخل الى الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا طيبا واقبل يقطع من اللحم ويشوي على النار ويطعمني ويتنهد تارة ويبكي تارة اخرى

ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد يقول

لم يبق الا نفس خافت	ومقلة انسانها باهت
لم يبق في اعضائه مفصل	الا وفيه سقم ثابت
ودمعه جار واحشاؤه	توقد الا انه ساكت
تبكي له اعداؤه رحمة	يا ويح من يرثي له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا امير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي انا في منزل الرجل واتهجم عليه في السؤال فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغ من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من ماء الورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي ما اغرب الظرف في البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا انا بفراش

من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب ونمت بليلة لم انم
عمري مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت
العيون فلم اشعر الا بجس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجاف
المضرب ونظرت فاذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان و
يتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت يا لله
العجب من هذا الشخص الثاني وهذا فرد بيت قاني لم ار فيه غير هذا الفتى وليس
حوله احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام
وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا
رمقت يخجل الشمس المضيه وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها
محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما اصبحت
لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له يا
اخا العرب هل لك ان ترشدني الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الي وقال على رسلك
يا وجه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا ثلاثة ايام قال جميل
فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن
اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة وانا فلان ابن فلان وعمي فلان
فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا
ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت
عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي
تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها
مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابى ان يزوجنيها
وزوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها واخذها الى المحلة التي هو فيها من
العام الاول فلما بعدت عني وحجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة
الشوق والجوى على تركي اهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت

بهذا البيت فى هذه البرية والفت وحدتى فقلت وابن ابياتهم قال هم قريب فى ذروة هذا الجبل وهى كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها احد فاقضى منها بالحديث وطرا و تنقضى هى كذلك وها انا مقيم كذلك على هذا الحال انسلى بها ساعة من الليل ليقضى الله امرا كان مفعولا او يأتينى الامر على رغم الحاسدين او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين قال جميل فلما حدثنى الغلام يا امير المؤمنين غمنى امره وصرت من ذلك فى حيرة لما اصابنى عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك على حيلة اشير بها عليك و فيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذى تخشاه فقال لى قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتى فانها سريعة الرواح واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النوق واسير بكم الليلة جميعها فما يصبح الصباح الا وقد قطعت بكم برارى وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ما حييت بروحى ومالى وسيفى فلما سمع ذلك قال لى يا ابن العم حتى اشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرايت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التى تهب من نحوها وانشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيم	من بلدة فيها الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علامة	افتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكى ثم قال لى يا ابن العم ان البنت عمى فى هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنى عائق ثم قال لى كن مكانك حتى آتيك بالخبر ثم اخذ سيفه وجحفته ثم غاب عنى ساعة من الليل ثم اقبل وعلى يده شئ يحمله ثم صاح الى فاسرعت اليه فقال اتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال لقد فجعت فى ابنة عمى فى تلك الليلة لانها كانت توجهت الينا كعادتها

اذ عرض لها فی طریقها اسد فافترسها ولم یبق منها الا ما تری ثم انه طرح ما کان على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده واخذ كساء على يده ثم قال لى لا تبرح الى ان آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عنى ساعة ثم عاد بيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فاتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقلبه ويبكى ويئن وزاد حزنه عليها وانشد يقول

الا ايها الليث المغر بنفسه	هلكت لقد هيجت لى بعدها شجنا
وصيرتنى فردا وقد كنت الفها	وصيرت بطن الارض لى ولها وطنا
اقول لدهر خاننى بفراقها	وغار عليها ان اكون لها حزنا

ثم قال یا ابن العم سالتك بالله وبحق القرابة والرحم التى بينى وبينك الا حفظت وصیتی انك سترانى الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلنى وكفنى انا وهذا الفاضل من مشاش الجارية فى هذا الثوب وادفنا فى قبر واحد واكتب على قبرنا هذه الابيات وانشأ يقول

كنا على ظهرها والعيش فى رغد	والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا	وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عنى ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى كدت ان الحق به من شدة حزنى عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما امرنى من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما فى قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنين اتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين قال فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة والله اعلم

حكاية اجنبية قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى بينما انا ذات يوم فى منزلى وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار بقطر كافواه القرب وامتنع الغادى والمقبل من المسير فى الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر

اذ لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت
لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي
من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات واقبل الليل فتذكرت
جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهي
فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وطابت ليلتي مما انا فيه من
الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب على الباب
واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني اثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتي وعليها
مرط اخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد
غرقت في الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهي في حال عجيب فقلت
لها يا سيدتي ما الذي اتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني
ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك
فعجبت من ذلك وكرهت ان اقول لها اني لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله
على جمع الشمل بعد ما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأت علي ساعة كنت
احق بالسعي اليك فاني كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل
بمخانة فيها ماء حار حتى اصلح لها حالها ثم امرته ان يصب الماء على رجليها و
توليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان
نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك
في الشراب فقالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها انا يا سيدتي
فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد فقلت غني لنفسك قالت
ولا انا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا اني آيس
من ان اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا بأعمى
يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غبت
لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت امغن انت قال نعم قلت فهل لك ان

فنعم

تم ليلتك عندنا و توانسنا قال ان شئت خذ بيدي فاخذت بيده وسرت
الى الدار و قلت لها يا سيدتي اتيت بمغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت على به فادخلته
وعزمت عليه في الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب
ثلاثة اقداح ثم قال لي من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت اسمع
بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدي فرحت بمن يسرك فقال غن يا
اسحاق فاخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى
الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت على نفسي و القيت العود
من يدي فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندي جارية قال مرها
فلتغن قلت تغني وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ما صنعت شيئا فرمت
العود من يدها مغضبة وقالت الذي عندنا جدنا به فان كان عندك شيء فتصدق
به فقال على بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب في طريق

لا اعرفها واندفع يغني هذه الابيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف	حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها	ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بيني وبينك ما وسعه صدرك ساعة
واودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها واخذت اقبل يديها
وادغدغ ثديها واعض خدها حتى ضحكت ثم التفت الى الاعمى وقلت

غن يا سيدي فاخذ العود وغنى هذه الابيات

الا ربما زرت الملاح وربما	لمست بكفي للبنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل	اعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتي ممن اعلم بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال اني
لحاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا في طلبه
فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري افي السماء صعد

اوفي الارض هبط ثم علمت انه ابليس وانه قادلي ثم انصرف فتذكرت قول

(ابي نواس حيث قال)

عجبت من ابليس في كبره	وخبث ما اضمر في نيته
تاه على آدم في سجدة	وصار قوادًا الذريته

ونظير ذلك مما يستظرف لابي نواس ما حكي عنه انه قال ضجرت من ملازمة امير المؤمنين هارون الرشيد حتى اني لم اجد فراغا الى نفسي فتوجه امير المؤمنين الى السرح ليبيت فيه ثم يعود فوجدت لروحي فرصة فدخلت داري واغلقت بابي واحضرت شرابا وطلبت نفسي الخلوة فعند المساء واذا بالباب يطرق فخرجت واذا انا بظبي من اولاد الاتراك ما رات عيني احسن منه منظرا فسلم علي وقال لي اتقبل ضيفا قلت يا سيدي ومن لي بذلك فدخل بيتي فحار عقلي عند دخوله ثم اخرج من تحت ثيابه سلاحية شراب ونقلا وشيئا من الدجاج ثم شرب وغنى شيئا لم اسمعه من غيره وقضيت مرادي منه مرارا الى ان مضى وقت من الليل وقد هام عقلي من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه الي بغير تقديم عوض ثم قال يا سيدي اريد الانصراف فقلت له يا سيدي متى خرجت انت خرجت روحي من جسدي وكل شيء املكه بين يديك وانا اصير عبدك بعد هذا اليوم ولا افارقك قال اصحيح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الى مالك وان كنت صادقا فيما ادعيت من محبتك لي قم واحلق لحيتك وشاربك وتقعد مثلي امرد قال فحكم علي السكر والعشق فما قدرت ان اخالفه فاجبته الى ذلك على انه يبيت عندي فحمل الي موسى وبل لحيتي وفي الحال ازالها وبقيت مثله امرد ثم صار يضحك علي وقال يا ابا نواس كيف الشعر الذي ذكرت فيه آدم وابليس فانشدته

(فانشدته قائلا)

عجبت من ابليس في كبره	وخبث ما اضمر في نيته
تاه على آدم في سجدة	وصار قوادًا الذريته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصل على ساحل تقفاه صكا من عجبا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك أتفعل بي هكذا ثم اردت التطلع اليه فما وجدت احد الجيبين

فقلت انه الملعون ابليس انتهى وقال بعضهم

قد جاءني بالليل ابو مرة ... ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في امرد ... يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة ... حيا بها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا ... فانت رئيس هذا الزمان

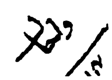
وقال ابو نواس

وليلة طال سهادي بها ... فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة ... لبيبة تطرد عنك الرقاد
قلت نعم قال وفي قهوة ... عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب ... اذا شدا يطرب منا الجماد
قلت نعم قال وفي شادن ... قد كحلت اجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة ... في وجنتيها للحياء انقياد
قلت نعم قال فنم آمنا ... يا كعبة الفسق ومركز الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى ... بحيلة مستدبه
فقال ما قولك في ... حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا ... خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا ... مليحة مطيبة
فقلت لا قال ولا ... اغيد بالبدر اشتبه
فقلت لا قال ولا ... آلة لهو مطربة
فقلت لا قال فنم ... ما انت الا حطبه

واحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا وكان ابو نواس
مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد مضجعا للنوم فحاف الخليفة
من ابى نواس على ابى طوق فقال الخليفة لابى طوق نم انت على السرير وقال لابى
نواس انام انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك ضجر واضمر فى نفسه
وتغافل الخليفة عن ابى نواس واظهر النوم ثم انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب
ابى طوق يضمه ويعانقه فقال ماهذا يا ابا نواس فقال هزنى الشوق من اجل ابى
طوق فقد خرجت من اسفل جئت الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت
(ومن غريب ما يحكى) ماحكاه القاضى ابو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة
ان منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا
بدمشق من بقايا بنى امية عظيم المال كثير الجاه مطاع فى البلد له جماعة واولاد
ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير
البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان و
قوف الرشيد على هذا بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ست وثمانين ومائة و
قد عاد من الموسم وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم اولاده فدعانى وهو خال
وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر
الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك الخيول وازحت علتك فى الزاد و
النفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى نائب دمشق
وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل
عليه انت ومن معك لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليكون مساعدا
واقبضا عليه وجئنى به واجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للمقامك
وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا قيدته وتقعد انت فى الشقة الاخرى ولا تكل
حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت
داره فتفقدها وجميع ما فيها من اهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته



والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من الفاظه منذ يقع طرفك
عليه حتى تأتيني به واياك ان يشكل عليك شيئا من امره انطلق قال امنارة
فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت اطوى المنازل اسير الليل
والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس لناس قليلا الى ان
وصلت الى دمشق فى اول الليلة السابعة وابواب لبلد مغلقة فكرهت طروقها
ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتى حتى اتيت باب
الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم استاذن ودخلت بغير اذن فلما
رأى لقوم ذلك سالوا بعض من معى عنى قال هذا امنارة رسول امير المؤمنين
الى صاحبكم قال فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت افيكم فلان قالوا لا
نحن اولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا اتفقد
الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت باهلها موجا كثيرا فلم ازل كذلك
حتى خرج الرجل بعد ان طال مكثه واسترببت منه واشتد قلقى وخوفى من ان
يتوارى الى ان رايت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحواليه جماعة كهول
واحداث وصبيان وهم اولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على
سلاما خفيفا وسألنى عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته بما
وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا امنارة وكل معنا
فقلت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودنى فاكل هو ومن معه ثم غسل يديه
ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفة فقال يا امنارة ساعدنا
على الاكل لا يزيدنى على ان يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه
فما عاودنى فاكل هو ومن معه وكانوا تسعة من اولاده فتاملت اكله فى نفسه فوجدته
ياكل اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم
لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة الا نهبا غيره حالا اعظم

واحسن منه وقد كان غلمانه اخذ والما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا
بهم الى دار اخرى فما اطاقوا اما نعتهم ويقيت وحدى وليس بين يدى الاخمس
او ست غلمان وقوف على راسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا ان يلحقنى امير
البلد وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه وتهاونه بامرى يدعونى
باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسال عما جئت به ويأكل مطمئنا وانا
مفكر فى ذلك فلما افرغ من اكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة
وصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من المحراب
اقبل على وقال ما اقدمك يامنارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين ودفعته اليه
ففضه وقرأه فلما استتم قرائته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك
انه يريد انه يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف ايمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق
والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا
ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى ان يكشف لهم امر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب
امير المؤمنين بالمضى اليه ولست اقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا
بمن ورائى من الحرم خيرا ومالى حاجة ان يصحبنى احد هات قيودك يامنارة فدعوت
بها وكانت فى سفط ومد يده فقيدته وامرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل و
ركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم الاق امير البلد ولا غيره وسرت بالرجل
وليس معه احد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا الى
بستان حسن فى الغوطة فقال لى اترى هذا قلت نعم قال انه لى وقال ان فيه
من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع
حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظى منه وقلت الست تعلم ان
امير المؤمنين اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك
وولدك واخرجك فريدا مقيدا مغلولا ما تدرى الى ما يصير اليه امرك ولا كيف

يكون

يكون وانت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد ان جئتك وانت لا تفكر فيما جئت به وانت ساكن القلب قليل التفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون اخطأت فراستي فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان اما قولك في امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية امير المؤمنين ولا يملك امير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لي عند امير المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امير المؤمنين امري وعرف سلامتي وصلاح ناحيتي سرحني مكرما فان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الاقاويل ويستحل دمي ويخرج من ايذائي وازعاجي ويردني مكرما ويقيمني ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق في علم الله عز وجل انه يبدو لي منه سوء وقد اقترب اجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء واهل الارض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم اتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه واني احسن الظن بالله الذي خلق ورزق واحيا وامات وان الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب انك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا اكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى ثم اعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح او طلب ماء او حاجة حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجيب قد استقبلني قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسس اخبري فحين رآني رجع عني متقدما بالخبر الى امير المؤمنين فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت رحلي ودخلت على الرشيد وقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا مسرور واياك ان تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث من اوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام و

الغسل والبخور وماحدثتني به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه امير
المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الى و
سؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده واهله
واصحابه وحلفه عليهم ان لا يتبعه احد وصرفه اياهم ومده رجليه فقيدته فما زال
وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في
المحمل فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري
لقد ازعجناه وآذيناه ورعنا اهله فبادر بنزع قيوده وائتني به قال فخرجت فنزعت
قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رايت ماء الحياة يجول في وجه
الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وامره
بالجلوس فجلس واقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل
هيئة وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك
فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند امير المؤمنين الا حاجة
واحدة فقال مقضية فما هي قال يا امير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي وولدي
قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك
لا يخرج الا ويحتاج الى شيء من هذا فقال يا امير المؤمنين عمالك منصفون وقد
استغنيت بعدلهم عن مسألتي فاموري مستقيمة وكذلك اهل بلدي بالعدل
الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب
الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله
من وقتك وسر به راجعا كما سرت به حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي اخذته منه فودعه
وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به اهله واعطاني
عطاء جزيلا وانصرفت والله اعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي)
ان الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره
جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع

حراقه * نوعی از کشتی‌ها

بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط ان لا يعرفنا احد من الناس ونتزيا بزي التجار
الاكياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة قلعوا ما عليهم
من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف
الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فراوا بالامر المقدور شيخا
قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من احسانك
وفضلك ان تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك انتفع بهما
فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل كل
ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه منادي ينادي معاشر الناس كافة جليل
ودني شيخ وصبي خاص وعام عبدا وغلام كل من نزل في مركب بالليل وشق الدجلة
ضربت عنقه او يشنق على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقة وهي مقبلة فقال له
الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل
بنا قبوا من هذه الاقبية الى ان تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب
والمستعان بالله فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة قد اقبلت من
كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ ما قلت لكم يا ستار لا تكشف
الاستار فقال الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ
في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة ندخل بهم الى قبو ووضع عليهم مئزرا
اسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يوقد
فيها واذا في مقدم الحراقة مشاعلي بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود
القاقلي وعلى المشاعلي قباء اطلس احمر بطراز مزركش اصفر وعلى راسه شاش موصلي
وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلي وهو يوقد
به عوض الحطب ومشاعلي آخر في مؤخر الحراقة مثله ومائتي مملوك واقفين
ميمنة وميسرة وكرسي منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس
كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان

كان الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهور وعشر زنوج
فقال الخليفة يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل ان يكون هذا احد ولدى اما
المأمون او محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلى ينادى معاشر
الناس كافة الخاص والعام الجيد والردى والعبد والغلام جهاوات وغير
جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج فى الدجلة او فتح طاقة حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتأمل الخليفة هارون الرشيد
فى الشاب وهو جالس على كرسى من الذهب قد كمل بالحسن والبهاء والكمال وقد
المنصب فلما تامله هارون الرشيد التفت الى الوزير قال يا وزير فقال له لبيك
يا امير المؤمنين قال والله ما بقى شيئا من شكل الخلافة وهذا الذى بين
يديه كانه انت يا جعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كانه مسرور وهذا
وهؤلاء الندماء كانهم ندماءى وقد حار عقلى فى هذا الامر فقال له الوزير
وانا والله يا امير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى ان غابت عن العين
فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور الذى فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله
على السلامة الذى لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل
كل ليلة فى الدجلة قال نعم يا سيدى له على هذه الحالة سنة كاملة فقال
له الخليفة يا شيخ نشتهى من فضلك واحسانك ان تقف لنا ليلة غد فى هذا
المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن
نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر و
مسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبى الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار
ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد فى مرتبته ودخلت الامراء والحجاب
والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال
الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثانى
ففعل جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان

خرجوهم

خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب التختور لهم فى
الانتظار فنزلوا عنده فى المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبى واذا بالخليفة الثانى
فى الحراقة وقد اقبلت عليهم فتاملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول و
المشاعليه تنادى على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شى لو سمعت به ما
صدقت ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب التختور ياشيخ هذه
عشرة دنانير وسر بنا فى مساواتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام ننظرهم ونتفرج
عليهم وهم لا ينظرون فاخذ الشيخ العشرة دنانير واطلق التختور فى مساواتهم و
صار فى ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى اثرهم الى آخر البساتين واذا بزربية
بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة
ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية
والجاويشية واشتالت الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى
البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا
ثلاثة انفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم
بين يدى الخليفة الثانى فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى
جاء بكم فى مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء
تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا
بين ايديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثانى طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم
لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال
خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى
ان وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر قام من
التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج
يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبدانى ومخدات اسكندرانى
وحتر مسبول وفرش تدهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب

هذه الابيات

فقصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت	فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى ان جلس على كرسى من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسى بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رياحاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا واحضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصففت الاباريق والكاسات والقنانى ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى له مدة ما شرب فقال للشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على بشراب التفاح ففى الحال احضر فقدم بين يدى هارون الرشيد وقال كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح وتعاطى اقداح الى ان تمكن الشراب من روسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله يا وزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتوشوش مع الخليفة فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا ان رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد ما رايت احسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه

جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وسازته وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول و

(عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول)

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق	يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب	وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني	وقلبي قريح والدموع سوابق
وماكنت ادري قبل حبك ما الهوى	ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتى ببدلة غيرها احسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وانشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي	والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش اسر به	وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة واتوا ببدلة غيرها احسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود يذهل الاسود فغنت وانشدت تقول

اقصروا الهجر كم وقلوا جفاكم	فؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم

يا بدور محلكم في فؤادي	كيف اختار في الانام سواكم

قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه البشخانة واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل اليه وضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسي واخذت العود وغنت تقول

نزى بنضر رحال الهاجر والقلا	ويرجع ماقد نقضني لى اولا
ايام كنا والديار تلمنا	في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا	من بعدها تيك المنازل والحلا
اتروم مني يا عذولى سلوة	وارى لقلبي مايطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي	القلب من انس المحبة ماخلا
ياسادة نقضوا العهود وبدلوا	لا تحسبوا قلبي لبعدكم سلا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشخانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشيد التفاتة متسارع فنظر على اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عندك منه خبر هل رايت ما على جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانة على العادة واتى ببدلة غيرها فلبسها وقد افاق من غشونة فاستوى جالسا على العادة مع الندمان فحانت منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يافتيان فقال جعفر يا مولاي خبر لاشك ولا خفا ان رفيقي هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل في هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شئ زائد في العيار فقال الشاب ياهذا

المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض نعامي على الخدم والحواشي فان كل بدلة شقتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير جعفر يقول

بنت المكارم وسط كفك منزلا	فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم ما اغلقت ابوابها	يوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم اقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اساله عن الضرب الذي رايناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول في جوابه فقال الوزير يا مولاي لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر اجمل وقال وحياة راسي وتربة العباس مالم تسأله اخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وما الخبر فقال خير يا مولانا فقال سألتك بالله الا ما اخبرتني بخبره ولا تكتم عني شيئا من امره فقال يا مولاي انه ابصر على جنبيك اثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال يا الله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم نعم اعلموا ان حديثي عجيب وامري غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكى وبكى وانشد يقول

حديثي عجيب حاز كل العجائب	وحق الاله قد عرف بالمواهب
فان شئتموا ان تسمعوا لي فانصتوا	ويطيب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة	وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة	وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلاء وخد مورد	ويقتلني منها قسي الحواجب
قد حس قلبي ان فيكم امامنا	خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكم يدعى الوزير بجعفر	حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة	فان كان هذا القول حقا بصائب

فقد نلت ما ارجو على كل حالة | وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال
الذي اعرفكم به اني ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ
ما اريد من ابناء المدينة واسمي علي بن محمد الجوهري وان ابي كان من الاعيان
ومات وخلف لي اموالا لا تاكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان و
ياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق و
طواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في حانوتي
وحولي الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث
جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت علي بن محمد الجوهري
فقلت لها مملوكك وعبدك قالت فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي
فقلت لها يا ستي الذي عندي يحضر بين يديك فان اعجبك شيء كان بسعد
المملوك وان لم يعجبك شيء منه فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد جوهر
فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندي
عقد صغير شراه على والدي بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين
الكبار فقلت يا سيدتي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم يملكه
احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه فلما راته قالت هذا الذي طول
عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه في الاسعار فقلت شراؤه على والدي بمائة الف دينار
فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد وصاحبه في الرق
بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد من الفائده ولك الجميلة الزائدة وقامت من
وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدي نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا
لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها
في امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والانوار وعلى
بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسى الى ان يأتى الصبى فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الى وقالت يا سيدى ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت يا سيدى تقول لك سيدتى ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتنى واذا بكرسى من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهنى ولبى من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتنى قامت من على الكرسى وسعت الى نحوى وقالت يا نور الدين من كان مليحا مثلك يرثى لمحبوبه فقلت يا سيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا على اعلم انى احبك وما صدقت بينى وبينك الا لما صرت عندى ثم انها طوقت على وعانقتنى فقبلتها وقبلتنى ثم جذبتنى وعلى صدرها رمتنى فلما علمت منى انى اريد ان اهم بها قالت يا على اتريد ان تجتمع بى فى الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فانى بكر عذراء ما دنا منى احد ولست مجهولة فى البلد تعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى واخى جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطرى عنها وقلت يا سيدتى ما لى ذنب فى التهجم عليك انت التى اطمعتينى فى احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولابد من الاحسان اليك فان امرى بيدى والقاضى ولى عقدى والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم انها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهرى قد طلب زواجى ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فد خلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ما له حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو	لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو	فاذا تجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس	انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم	يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كما بات لو يلة	اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت الوانه	مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك	حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به	خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا	والورد جورى نبت فى وسط خداك
انت الغرام لقلبى والنعيم له	فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان و نزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم يختم ربها ففرحت بي و فرحت بها فرحا لم اجد في عمري ليلة اطيب منها و فيها

انشدت اقول

يا ليل دم لي لا اريد صباحا	يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي	وجعلت كفي للثام وشاحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعا نقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني ان لا انتقل من موضعي فاخذت جواريها و ذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من راس الزقاق الا والباب قد فتح و دخلت منه عجوز وای عجوز و قالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين انني ما اقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز امامي الى ان اوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبدك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتني بعود فغنيت

عليه وانشدت اقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له في الظعن محبوب
استودع الله لي في حيكم قمرا	يهواه قلبي وعن عيني محجوب

يرضى ويغضب ما احلى لله	وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى
فقم الى مكانك قبل ان تجىء اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت
الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه
فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير
فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها و
رفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت
الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الفضيحة لاخربت قصرها على رأسها
ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا
به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى
فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستنا ما هو باول من اخطا
وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت
والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب
الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى
ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى و
احضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى
دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع
ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك
يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من
الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى
وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه
الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان

واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها ... فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهيا دنفا ... والقلب قد حار منى فى معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم فى منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب ياوزير على بالشاب فخرج اليه فى الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المومنين فقال سمعا وطاعة لامير المومنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الهمة عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المومنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها ... هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تحدثنى بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المومنين اعطنى منديل الامان ليهدا روعى ويطمئن قلبى فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يتحدث بالذى جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبى عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته	او رمت معروفا فهذا محله	

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لى اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها فى الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفين هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى منى واسأل من فيض الفضل العفو عنى فضحك الخليفة واحضر القاضى والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره فى اتم عيش ونعمة يجالس الخليفة فى الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغنى انك اشتريت الجارية الفلانية ولى مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولى شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس على فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق منى ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتى طالق منى ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا فى امر عظيم وعجزا فى تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابى يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت فى هذا الوقت الا لامر حدث فى الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدى الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجى فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبر من يمينكما فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء اوسع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لا هذه صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فردد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار قال لا افعل قال مائتا دينار قال لا افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه كذا فانى اعطيت هذا الما

فقد نلت ما ارجو على كل حالة | وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذى اعرفكم به انى ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ما اريد من ابناء المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان ابى كان من الاعيان ومات وخلف لى اموالا لاتأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان و ياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق و طواحين وعبيد وجوارى وغلمان فلما كان فى بعض الايام وانا جالس فى حانوتى وحولى الحشم والخدم واذا انا بجارية قد اقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت انت على بن محمد الجوهرى فقلت لها مملوكك وعبدك قالت فهل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها يا ستى الذى عندى يحضر بين يديك فان اعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت اريد احسن مما رايت وكان عندى عقد صغير شراه على والدى بمائة الف دينار لم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت يا سيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارنى اياه فلما راته قالت هذا الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراه على والدى بمائة الف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها يا سيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت سرعة البغلة وقالت يا سيدى نور الدين باسم الله تكرم بصحبتنا لتاخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها فى امان الى ان وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والانوار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجب هذه الابيات

الايا دان لايد خلك حـزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرت بجلوسي الى ان يأتى الصبح فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى تقول لك سيدتى ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت البيت وجلست حيث امرتنى واذا بكرسى من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهنى ولبى من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتنى قامت من على الكرسى وسعت الى نحوى وقالت يانور الدين من كان مثلها يرثى لمحبوبه فقلت ياسيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت ياعلى اعلم انى احبك وما صدقت بك الا لما صرت عندى ثم انها طوقت على وعانقتنى فقبلتها وقبلتنى ثم جذبتنى وعلى صدرها رمتنى فلما علمت منى انى اريد ان اهم بها قالت ياعلى اتريد ان تجتمع بى فى الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فانى بكر عذراء ما دنا منى احد ولست مجهولة فى البلد اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى واخى جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطرى عنها وقلت ياسيدتى مالى ذنب فى التهجم عليك انت التى اطمعتينى فى احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولابد من الاحسان اليك فان امرى بيدى والقاضى ولى عقدى والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم انها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين على بن الجوهرى قد طلب زواجى ودفع

لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضى رحمه الله تعالى واثنى عليه وكتب الكتاب فد خلت عليها بعد ان اعطت للقضاة شيئا ماله حساب واحضرت المدام واحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة فى روسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشأت تقول

قلبى وآمالى بباب رجاكمو	لا ابتغى فى الكون غير رضاكمو
يا جيرة جاروا على ببعدهم	حنوا علينا وارحموا مضناكمو
حاشاكمو يا سادتى حاشاكمو	صبا معنى مغرما بهواكمو
بالله جودوا وارحموا المتيم	لا يستمع فيكم حديث سواكمو
موسى اشتياقى فوق طور رضاكمو	فاذا اشجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك اخذت العود

الست دنيا وانشدت تقول

اقسم بلين قوامك المياس	انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم	يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كما بات لو يلة	اجلو جمالك فى ضياء الكاس
ما بين ورد جمعت الوانه	مع نرجس ايضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى اخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه

الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك	حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبى الانام به	خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا	والورد جورى بنت فى وسط خداك
انت الغرام لقلبى والنعيم له	فما امرك فى قلبى واحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا

الى حسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان و نزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا لم ينتم ربها ففرحت بى و فرحت بها فرحا لم اجد فى عمرى ليلة اطيب منها و فيها

(انشدت اقول)

ياليل دم لى لا اريد صباحا	يكفى بوجه معانقى مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدى	وجعلت كفى للمنام وشاحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا	متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتنى ان لا انتقل من موضعى فاخذت جواريها و ذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح و دخلت منه عجوز واى عجوز و قالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غناك فقلت والله على يمين اننى ما اقوم من مقامى حتى تأتى الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتنى بعود فغنيت

(عليه وانشدت اقول)

قلب المحب مع الاحباب متعوب	وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما فى الركائب من زمت حمولهم	الا وكان له فى الظعن محبوب
استودع الله لى فى حيكم قمرا	يهواه قلبى وعن عينى محجوب

يرضى ويغضب ما احلى الله | وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل ان تجئ اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت اكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة والله ولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لاخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو باول من اخطأ وما عرف خلقك وانت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب ان تقتليه فقالت والله لابد ما اوثر فيه اثرا ثم انها امرت بضربى فضربت على اضلاعى الضرب الذى رايتموه وامرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى ورجعوا وتركونى فلمت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلى واحضرت جراحا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بالف ومائتين من الذهب لعين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم انه بكى وان واشتكى وانشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها	ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها	سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها	فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهيا دنفا	والقلب قد حار منى فى معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف و اضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين الى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم فى منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزيرعلى بالشاب فخرج اليهم فى الحشم والخدم وساروا الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة	وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها	هذا المقام وانت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام واظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين اريد ان تخبرنى بحديثك الليلة يا مسكين فانه من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطنى منديل الامان ليهدأ روعى ويطمئن قلبى فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب

يحدث بالذي جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته		او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها في الوقت فلما امتثلت بين يديه قال لها اتعرفين هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله مما جرى مني واسأل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفة واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في اتم عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس علي فيها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدي الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجي فانها

لم تستوف عليقها فی هذه اللیلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل علی الرشید
قام له واجلسه علی سریره بجانبه وکان لا یجلس معه غیره وقال له ما طلبناك
الا لامر مهم وهو کذا وکذا وقد عجزنا فی تدبیر الحیلة فقال یا امیر المؤمنین هذا
من اسهل ما یکون یا جعفر بع امیر المؤمنین نصفها وهب نصفها تبرّ من یمینکما
فسر بذلك امیر المؤمنین وفعلا فقال الرشید احضر الجاریة فی هذا الوقت فاننی
شدید الشوق الیها فاحضرت فقال للقاضی ابی یوسف ارید وطئها فی هذا الوقت
ولا اطیق الصبر الی مضی مدة الاستبراء اوسع لی الحیلة فی ذلك فقال ابو یوسف
ائتونی بمملوك من ممالیك امیر المؤمنین الذین لم یجر علیهم العتق فاحضر مملوك
فقال ابو یوسف یا امیر المؤمنین ائذن لی ان ازوجها منه ثم یطلقها قبل الدخول
فیحل وطؤها فی الحال من غیر استبراء فاعجب الرشید ذلك اکثر من الاول فقال اذنت
لك فاوجب القاضی النکاح ثم قبله المملوك فقال له القاضی طلقها فقال لا هذه
صارت لی زوجة وانا لا اطلقها فردد علیه القول فابی وضاق صدر الخلیفة
لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما کان فقال القاضی ابو یوسف یا امیر المؤمنین
ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دینار قال لا افعل قال مائتا دینار قال لا
افعل الی ان عرضوا علیه الف دینار وهو یمتنع وقال للقاضی الطلاق بیدی
او بید امیر المؤمنین ام بیدك قال بل بیدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد
غضب امیر المؤمنین فقال القاضی یا امیر المؤمنین لا تجزع فان الامر هین ملك
هذا العبد للجاریة فقال ملکته لها وقال لها القاضی قولی قبلت فقالت
الجاریة قبلت فقال القاضی حکمت بالتفریق بینهما لانه دخل فی ملکها فانفسد
النکاح فقام امیر المؤمنین علی قدمیه وقال مثلك من یکون قاضیا فی زمانی
واستدعی باطباق الذهب فافرغت بین یدیه وقال للقاضی هل معك شیٔ
توعیه فتذکر مخلاة البغلة فاستدعی بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف
فلما اصبح قال لخلانه انظروا الی من تعلم العلم فلیتعلمه کذا فانی اعطیت هذا المال

العظيم في مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على قلب امير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تتخرج الا على مذهب الحنيفة فخرجها ابو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفي المذهب والله اعلم انتهى من حلبة الكميت ومن كلام ابراهيم الموصلي رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى	وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدني جوى كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
واني لتعروني لذكراك هزة	كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة فذ نامه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتني عن اشياء فاجبتك واني سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول في النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمري ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولى ان يكون نديمي في مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شبالة المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلي فانا اشربه لاصير مثل من فانعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار ايضا حكى والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد ارق ذات

ليلة ارقا شديدا فاسند على جعفر وقال ريد منك ان تزيل ما بقلبى من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هى يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كانما احسن السما و زرقتها	قد رصعت فيها الثاين الصور
كانما البدر حين لاح لنا	فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطلع على البستان ونتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التى كانها انين محب فارق محبوبه وهى كما قال فيها

بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت	تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها	تغنى له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذى يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالى و هذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسى الى شئ من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك فى قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد عجزت عن ان اتهم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرج امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا لا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطأ مكانا لا وطئه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئناه او شيء لا سمعناه او موضع لا رأيناه فقال جعفر ائذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا خمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشيء سمعته باذني او بشيء رأيته بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين لي عادة اني اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبي واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولي عليه رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لي سنة من السنين اني سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ارباب دولته بخدمتي واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي له ان لا يطعمني الا الاشياء التي تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لي الاكل حتى ثقل على فؤادي فقلت ما يصرف عني هذا الا المشي ولي عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم ان اجعلها حجة وفرجة ثم اني نزلت امشي في شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت في نفسي ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسي لانه يشرب منه اصحاب الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالي الا ان اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفي ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل داران ودار صدر وانية قد قامت من الثرى وتعلقت بأذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب لوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدنر مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد ضعيف وهو يقول

بالله يا بكما عوجا على سكني	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسالطفة ... ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب ... نحنا الطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته على قدر صوته واحتشمت ثم اني قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفي واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار اعكنها ... على القباطي فلا سمن ولا غور
كانها افرغت من ماء لؤلؤة ... في كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شئ تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت ... مدامعي بالذي اخفي من الالم
فان الح افتضح من غير منفعة ... وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده ... من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دهاني العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت

١٧

فقالت لعل ان يكون على يدك فرج فانا اكتب لك ورقة فتسألين عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رديت على الجواب فانا اعطيك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي تقول اما بعد فيعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث اقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم ... وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم ... جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت ... وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم ... ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم ... فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو ... علي ففي كل المنا انتمو
رحلتمو وفي القلب خلفتمو ... لهيبا فهلا ترفقتمو
واودعتمو يوم ودعتمو ... باحشاي نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا ... على شؤم بختي تعلمتمو

فالف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا ما رقا دمعي لفرقتكم ... يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد ... ولا فؤاد ولا صبر ارجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا ... ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل العمر يساوى ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذى كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني واخذ بيدى وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير انى رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاى ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذى للست بدور فقلت يا سيدى وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاى اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاى شئ كتبت الكتاب فقلت ولا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلم الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب نفضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب علي فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت ارى	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه واناد مه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحصيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

يحدث بالذى جرى له من اوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبى
عاشق لا محالة فقال الخليفة اتحب ان اردها اليك يا مسكين قال نعم يا امير
المؤمنين ثم انشا يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته ... او رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لى اختك الست دنيا
بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها فى الوقت فلما مثلت بين
يديه قال لها اتعرفى هذا فقالت من اين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال
يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها
والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا وانا
استغفر الله مما جرى منى واسأل من فيض الفضل العفو عنى فضحك الخليفة
واحضر القاضى والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود واكمد العدو
والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره فى اتم عيش ونعمة يجالس
الخليفة فى الليل والنهار تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا
من التلخيص والله اعلم ويحكى ان جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة
فقال يا جعفر بلغنى انك اشتريت الجارية الفلانية ولى مدة اتطلبها فانها
بديعة الجمال ولى شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس على فيها بيع قال هبنيها قال
ولا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق منى ثلاثا ان لم تبعنيها او تهبنيها وقال
جعفر زوجتى طالق منى ثلاثا ان بعتها او وهبتها ثم افاقا من نشوتهما وعلما
انهما وقعا فى امر عظيم وعجزا فى تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة
ليس لها غير ابى يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا و
قال ما طلبت فى هذا الوقت الا لامر حدث فى الاسلام ثم خرج مسرعا وركب
بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلاة فلعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار
الخلافة ودخلت فضع بين يدى الدابة شيئا منه تشتغل به الى حين خروجى فانها

لم تستوف عليقها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين هذا من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها وهب نصفها تبرّ من يمينكما فسر بذلك امير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضر الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها فاحضرت فقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت ولا اطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء اوسع لى الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضر مملوك فقال ابو يوسف يا امير المؤمنين ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال اذنت لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال لم هذه صارت لى زوجة وانا لا اطلقها فردد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة لذلك وقال قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل قال مائتا دينار قال لا افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى او بيد امير المؤمنين ام بيدك قال بل بيدك انت قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب امير المؤمنين فقال القاضى يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا العبد للجارية فقال ملكته لها وقال لها القاضى قولى قبلت فقالت الجارية قبلت فقال القاضى حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل فى ملكها فانفسد النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف فلما اصبح قال لخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلم كذا فانى اعطيت هذا المال

العظيم فى مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على قلب امير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضى فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسألة الاستبراء لم تخرج الا على مذهب ابى حنيفة فخرجها ابو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفى المذهب والله اعلم انتهى من حلبة الكميت ومن كلام ابراهيم الموصلى رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بى المدى	وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدنى جوى كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
وانى لتعرونى لذكراك هزة	كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن حكايات اللطيفة ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمايل الفطنة فدنا منه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتنى عن اشياء فاجبتك وانى سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول فى النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد اعجابه وقال لعمرى ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فاولى ان يكون نديمى فى مثل هذا اليوم وامر ان ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت شربت هذا لتصير مثلى فانا اشربه لاصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله اعلم وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار ايضا حكى والله اعلم بغيبه واحكم ان الرشيد ارق ذات

ليلة ارقاشديدا فاستدعى جعفرا وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وانت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كانما حسن السما وزرقتها	قد رقمت فيها الفاتن الصور
كانما البدر حين لاح لنا	في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كانها انين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها

بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت	تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها	تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا امير المؤمنين الى ان يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال يا امير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي و هذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك قال جعفر قم يا امير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شئ من ذلك فقال جعفر يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة

الى مغنية الى راقصة الى سنطرية احضر الجميع واحضر العقار المروق
فلعل ان يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شئ من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد
عجزت عن ان اتهم مولانا فقال يا جعفر اما سمعت قول ابن عمي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا احلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرح امتي في ثلاث ان يرى بعينه شيئا لا رآه او يسمع شيئا لا سمعه او يطا
مكانا لا وطنه فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكان لا وطئناه او شئ لا سمعناه
او موضع لا رايناه فقال جعفر تأذن لي يا امير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة
وانظر احدا من المسافرين احضره بين يدي امير المؤمنين لعله ان يحدثك بحديث
ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ ابي
الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى امير المؤمنين سلم فاحسن وترجم
فابلغ ثم قال يا امير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين اطال الله بقاك وجعل
الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لاخمدت لك نار ولا اغيظ لك جار

ثم انشد يقول

دام لك العز والبقاء	ما اختلف الصبح والمساء
ودمت ما دامت الليالي	بمدة ما لها انقضاء
الناس ناس بكل ارض	وانت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال اجلس يا ابا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب
لم تسمعه قط فقال الشيخ يا امير المؤمنين احدثك بشئ سمعته باذني او بشئ رايته
بعيني قال الرشيد يا شيخ ابو الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن
فقال الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هي الثلاثة
فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا ابا الحسن فقال يا امير

المؤمنين لي عادة اني اسافر كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبي
واقعد عنده احدثه الاسمار واورد له الاخبار وانشد له الاشعار ولي عليه
رسم الف دينار آخذها واعود الى بغداد فاتفق لي سنة من السنين اني سافرت
الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم
الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ربابه ولده
بخدمتي واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي له ان لا يطعمني الا اشياء
تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان
فاكلت وطاب لي الاكل حتى ثقل على فؤادي فقلت ما يصرف عني هذا الا المشي ولي
عدة اسفار الى البصرة ما اعرف فيها مكانا واريد اليوم اجعلها حاجة وفرجة ثم اني نزلت
امشي في شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت
في نفسي ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسي لانه يشرب منه اصحاب
الامراض وكبرت نفسي على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالي الا ان
اقصد بعض دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب وفي
ذلك الدرب خمسة دور داران مقابل دارين ودار صدرانية قد قامت من الثرا
وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش
عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب لو هاج ومسامير الفضة
وسنز من الحرير الاصفر المدثر مكتوب عليه هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت في نفسي من هذه الدار اشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا

ضعيفا من فؤاد نحيف وفناء لا يقول

بالله ربكما عوجا على سكني	وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابي وقولا في حديثكما	ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في مسلاطفة	ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب	فخالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طبيب ان كان قائل هذا الصوت تخص صورته على قدر صوته واحتشمت ثم انى قويت قلبي ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفى واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت فى صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروان وفى ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ولت

قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت	فى قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها التحسين حتى دار اعكنها	على القباطى فلا سمن ولا غور
كانها افرغت من ماء لؤلؤة	فى كل جارحة من حسنها قمر

الا ان الجارية يا امير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها جميع الاسقام وعند راسها الطبيب وهو يحبس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شئ تشتكينه اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون الست فى قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت	مدامعى بالذى اخفى من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعة	وان كتمت فدمعى غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما اكابده	من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد دخلنى العطش الى ان اتيت الى هنا

فقالت لعل ان يكون على يدك فرجي فانا اكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان ردت على الجواب فانا اعطى لك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي تقول اما بعد فيعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن اسأل الكريم الخلاق ان يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وانا القائلة حيث افول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم	وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم	جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت	وجدت لمسراها على كبد برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم	ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما امر فراقكم	فلا كان هذا منكم آخر العهد

اما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها ايدى الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن اسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق ان يمن علينا بالتلاق وانشدت تقول

احبه قلبي وان جرتمو	على في كل المنا انتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو	لهيبا فهلا ترفقتمو
واودعتمو يوم ودعتمو	باحشاى نارا واضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا	على شوم بختي تعلمتمو

فألف الف لا اوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرا كتابي و تعطف برد جوابي وانشدت تقول

احبابنا مارقاد معي لفرقتكم	يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد	ولا فؤاد ولا صبرا رجيه
فكم امني فؤادي بالهوى كذبا	ولست اول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر وفوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة انتظره واذا به قد اقبل وهو راكب على حصان اشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كانه انقلب فيه قلبا والمماليك قد احدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن مشعر

قمر تكامل في نهاية حسنه	مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه	والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال باسره فكانما	حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته دون ان قبلت ركابه فلما نظر الي ترجل واعتنقني واخذ بيدي وادخلني الدار وانشد يقول

ما اظن الزمان يأتي بهذا	غير اني رايته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة اقبل علي يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما درج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وافراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف وضع ومعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ ابا الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول ابن الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت لعندها اطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يا مولاي اكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاي شئ كتبت الكتاب فقلت والا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح احد من عندك

الى عندها فقال هي اخس واحقر من ان يمضي اليها احد من عندك فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا عاقل اما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون
واجنحة تطير بغير ريش	الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقراه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب على فلما علم مني ذلك قال مم غيظك اقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست

بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول

رايت شاة وذئبا وهي ماسكة	باذنه وهو منقاد لها ساري
فقلت اعجوبة ثم التفت اري	ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما	والذئب يسطو بانياب واظفار
تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة	بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحسب الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين ايدينا البواطي والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقاني وانا احدثه وانادمه الى قرب الغياب فقال لي يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين اذا شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن اولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحصيرة تنقط بالذهب واللازورد العجب وهي مزخرفة قد عبقت ازهارها وضحكت سلاحياتها وصفت بواطيها ورفعت اقداحها فجلس الامير عمرو واجلسني بجانبه وقدمت بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن اولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة جوار قد اقبلن كانهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية

تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها واصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بزمرها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم

ان الدفية غنت تقول

احبابنا انني من يوم فرقتكم … على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم … عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى

وانشدت تقول

امؤنس طرفي لا خلا منك ناظري … وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره … بحلي فما استوحشت فيه لمونسي
بالله يا عين الورى من ملاحة … تصدق على صب من الصبر مفلس
لتلق الرضى حتى اغيظ به العدا … ويا موحشي من بعد ما كان مونسي
رضاك الذي ان نلته نلت رفعة … والبس في الناس اشرف ملبس

قال والله يا امير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى نحو الدفية وقالت لها يا فلانة اتحسني ان تقولي مثل هذا فقالت الدفية انا احفظ ابياتا ما اظن انك تحفظي لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هاتي ما عندك فنقرت الدفية على دفها بانامله ورفعت صوتها وهي تقول

كرور مرقد ذكرهم في مسمعي … فهم الشفا لتالمي وتوجعي
اقصر بعدلك يا عذول فان لي … قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العودية انا احفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هاتي فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين واربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم اسل وادي الاسيل بادمعي … اعلم باني في الصبابة مدعي

ياسعد ان جئت الغوير وعاينت	عيناك بان المنحنى فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى	واحذر رصيد لحظ ذات البرقع

قال والله يا امير المؤمنين فلقد طربنا حتى نام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارقت عودها وقالت

ماكنت اول رامق صباصبا	نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فغلام يعذلنى العذول على البكا	لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى	ولقد غدا قلبى به متقلبا
ياللرجال خبا الهوى بحشاشتى	نارا فما تخبو على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزالى لورأت	بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى	مهلا رويدا فاين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يا مولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نم فى مرقدك وان اخترت التراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما اصبحت قمت وسالت عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فاخذت شاشا البسه فرايت تحته كيسا فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها واقفة

خلف الباب تنتظر وهى تقول

يارسولى الى الحبيب اعتذر لى	فلعل الحبيب يقبل عذرى
ثم قل للحبيب عنى بلطف	اى ذنب جرى فاوجب هجرى

فلما رأتنى قالت ياشيخ اقمح ام شعير فقلت لا والله ماهو الا زيوان والله ما رضى يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يا ابا الحسن ما مضى الليل والنهار على شئ الا وازاله وغيره ويغير الله ما فى القلوب ثم انها اغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده

ايامًا واخذت رسمى وعدت الى بغداد ثم انى فى السنة القابلة سافرت الى البصرة على ما جرت العادة به ومضيت الى عند الامير عمرو بن جبير الشيبانى لانمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما

رايت ذلك بكيت وانشدت اقول

يا دار اين ترحل السكان	وسرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس كان بك الضياء	واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعنى بعض الغلمان فظهر لى وقال من ذا الذى يبكى على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ما عندنا فقلت له يا عبد الخير ان صاحب هذه الدار كان من اصدق الناس الى فما فعل به الزمان فقال لى الغلام يا مولاى هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذ لى اليه الطريق فقال لى الغلام يا مولاى من اقول فقلت قل الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لى بسم الله ادخل فوجدت الامير عمرا نائمًا وعند رأسه طبيب وهو يجس يده ويقول له يا مولاى الضارب والسكون ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع لا يكون المولى الامسحورا فلما سمع الامير عمرو كلام الطبيب بكى وانشد يقول

قال الطبيب لقومى حين جس يدى	هذا فتاكم ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد فارقت فى صفتى	عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كاغدًا فيه بعض دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الامير عمرو الى وقال يا شيخ ابا الحسن اما تنظر الى هذا الحال الذى وقعت فيه فقلت له حاشاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما اعرف له سببًا الا ان هجرالست بدور فقد قتلنى وجهها اضنى فؤادى فقلت يا مولاى بالعام الماضى تركتك اميرًا واليوم اتيت لقيتك اسيرًا فما السبب فقال الامير عمرو يا شيخ انى فى ليلة من الليالى ركبت فى الشط وقد عبيت فى مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين

والطعام

والطعام والمدام واقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط و
بقينا في لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد اقبل من صدر الشط مركب وهي
تعزف بالطارات والدفوف وتضئ كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح
قدم بنا حتى نتفرج وننظر ايضا احسن تعبية مركبنا او هذه المركب فمددت عيني
فرايت صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهي
مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني عليها كان ما رميت في قلبي جمرة نار
فقلت في نفسي ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم
الذي كان بيننا فلم اقدر اصبر فمددت يدي واخذت تفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفت فراتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة نشرح
فارسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمني اضرمت النار في
قلبي ثم قلت لنفسي انت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهن لي عيش في هذه
الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم اني نزلت ومضيت الى منزلي وما ذقت
طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لي قرار وصرت اترقب ان يأتي احد من عندها
ثلاثة ايام فلم يأت احد فبعثت من يعرض بذكري لها فدعت عليهم وشتمتهم
فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلم ترد لي جوابا وقد رميت روحي على كل كبير
في البصرة يدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة انتظرك يا شيخ
ابا الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان هي ردت لك جوابه اعطيتك
الف دينار وان لم ترد جوابه اعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة
وقرطاس وكتب في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو
اليك الصبابة ويسألك بالله ان تردي جوابه اما بعد فانه يعجز لساني ويكل
جناني مما انا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائي صم الحجر فالف الف
لا اوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته واتيت به
الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخي وبواب

وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم ياولدى ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقى قد اتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز

(فسمعت الست بدور وهى تقول)

ولأصبرن على الزمان وجوره	حتى يعود كما اريد واشتهى

قال فلما دخلت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

اقبلت فى غلالة زرقاء	لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة التى	قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا	او برقعا للوجه مثل الرداء
او قميصا من الحرير خفيفا	لاصفا للفؤاد والاحشا
ضربتنى بخنجر العشق حتى	صرت ملقى مخضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت	من يصلى على قتيل هوائى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ماكان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لى بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت والله لا اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيننا بروحك الى الامير عمر وقبل مجيئك الينا فقلت لها انا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب انت ما صبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد لى الجواب اعطيتك مائة دينار فقلت ياستى

من اعلمك بهذا فقالت اليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون	ترى ما لا يراه الناظرون

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وارى اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي
كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته
ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا بذاك وقرضا لدين لا بد له
من وفا الا اني حصل لي بعض غيظ على الالف دينار التي تفوتني فنظرت الى وعرفت
مني ذلك فقالت يا شيخ ابا الحسن مم غيظك ان كان وعدك بالف دينار بت الليلة
عندي وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في وداعة
الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت فقالت دعنا من هذا الكلام
ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف
تلعب بالشطرنج قلت ما العب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج
فوضع بين ايدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتني فامرت الجواري ان
يرموني في البركة فمسكوني ورموني في البركة فضحكت على ساعة ثم اخرجوني
وقد ابتلت جميع حوائجي فلما راتني على تلك الحالة امرت ببدلة من القماش من
الفخر الملبوس فلبست فقالت نلعب ايضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغافلت
عليها واتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها
وتحكمت فيها وقلت اريد الالف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الالف دينار و
طلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو كم هذا العناء	وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الي تشكو ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقمي لا يزال طول دهر	وداء ما له ابدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل البلاء
فعش صبا ومت كمدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتني الورقة فقرأتها فقلت يا ستي بالله عليك لا تفعلي وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ ابا الحسن انت رسول والا فضولي فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغيظ القطط ويحلف انه ما يبات الا في الوسط ويغني بليت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت يا ست بدور اين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو ابصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شئ به من المرض فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من الم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في اول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم انها ابتدأت تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت ناملا	غنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته	لخفي اوجاع القلوب طبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤلها من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان تريد وتقول

اشتاقكم حتى اذا انهض الغرام	لمقامكم تعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي	فني المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فاخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى ان اتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحرام القرطاس اصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي اقبح ام شعير فقلت له قمح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه

بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علىّ حتى انني		من عظم ما قد سرني ابكاني	
يا عين قد صار البكا لك عادة		تبكين في فرح وفي احزان	

فلما فرغ من البكاء قال لي يا شيخ ما اظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل ان تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يا مولاي والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وهي تخطر في قوامها

وهي تنشد وتقول

زوروا كم لا تؤاخذ كم بجفوتكم		ان الكريم اذا المرئ يستزير زارا	

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فقمت على ان اخلي لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقني من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجيء له بالماء فغسل يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا في لذة ورايت الماء وبه تدب في وجه الامير عمرو وبتنا في لذة فلما اصبحت قالت لي الست بدور يا شيخ ابا الحسن امض وائتنا بالقاضي والشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابا الحسن عقد النكاح قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بالف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاي المثل يقول العصفور يتفلى والصياد

بتقلبي وانتم تقولون واطرباه وانا اقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك
هذا قلت يا سيدتي الامير عمرو وعدني بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت
الست بدور صدق الشيخ اعطه الذي وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه
اعط الشيخ ابا الحسن الفا وخمسمائة دينار بيتنا هل والله اكثر من ذلك
فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني اياه واعطتني الست بدور مثله
ثم اني ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبي وقعدت
عنده على عادتي واخذت رسمي الذي لي عليه في كل سنة وعدت الى بغداد
فما رايت سنة ابرك علي منها حصل لي فيها اربعة الاف دينار وهذا جملة الحديث
فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار لانك انت
الذي ازلت عني ما بقلبي فقال جعفر ومن عند امير المؤمنين الف دينار لانه
هو الذي زال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن صدق الوزير ابقاه الله تعالى
ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله اعلم قال ابو القاسم عبد
الملك بن بدرون في شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكي
هو جعفر بن يحيى بن خالد برمك والبرمك هو الذي يعمر بيت النور وهو
بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولد خالد فلما
كبر صار وزيرا لابي السفاح بعد ابي سلمة الخلال وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة
سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من خليفة
قبله حتى كان يجلس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره بعض
المخبرين وكان بلغ عنده ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه
ابن المهدي عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكله وكانت شكلة امة سوداء
وقد ذكر ان ابراهيم كان اسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا في صنعة العود
قال قال لي جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لي فلما كان الغد مشيت اليه
باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا

ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه لا يدخل علينا احد الا عبد الملك القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا صلاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب انه الذي امره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له انهم احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلثا قال للساقي لتخفف عني فاني ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافاة لما صنعت قال بلى ان امير المؤمنين على غاضب فسله الرضا عني قال قد رضي عنك امير المؤمنين قال وعلى اربعة الآف دينار قال هي لك حاضرة من مال امير المؤمنين قال وابني ابراهيم اريد ان اشد ظهره بصهر من امير المؤمنين قال قد زوجه امير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب ان تخفق الالوية على راسه قال نعم قد ولاه امير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدي فانصرف عبد الملك بن صالح وانا انعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بابي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الي فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الي وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح فاحببت معرفة خبره قلت نعم قال وذلك اني لما دخلت على امير المؤمنين وتمثلت بين يديه وابتدأت القصة من اولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد احسن والله احسن والله ثم قال ما صنعت فاخبرته عما سال وبما اجبته في ذلك فقال احسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى اعلم قال ابراهيم بن اسحاق كنت منقطعا الى البرامكة

فبينما انا ذات يوم بمنزلي واذا الباب يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي على الباب فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال لي مدة احاول لقاءك ولي اليك حاجة فقلت ماهي فاخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي و قال اسئلك ان تقبلها مني وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت انشدنيهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي	لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لالا ابوح حتى تخلي سكني	فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى اني ظننت انه مات ثم افاق وقال اعده فناشدته الله وقلت اخشى ان تموت فقال ليت ذلك ومازال يخضع ويتضرع حتى رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولى فلم اشك في موته ومازلت انضح عليه من ماء الورد حتى فاق ثم جلس فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عني فقال لا حاجة لي بها ولك مثلها ان اعدته فشرهت نفسي فقلت اعيد ولكن بثلاثة شرائط اولها تقيم عندي تاكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني ان تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي وقرابتي فتاتا مع فتيات كانها غصن جلله الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفها الا بنفس ملاحظها فاظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا يرشدني اليها فجعلت اتتبعها في الاسواق فلم اقع لها على خبر ومرضت اسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا بأس عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك فافعل مرادك قال فاطمأنت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت معي اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل

لقد احسن من قال

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت	وقد عاودت جرحا به وتذوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولي له وقد احسن من اجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا	نرى فرجا يشفي القلوب قريبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا لفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ورجعت فاخذتني وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها ابوها فلم ازل مجتهدا في لقائها فلم اقدر وشكوت ذلك الى ابي فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكن اشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فاعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فامرني بالركوب اليه وان اجعله على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال هي في ذمتي حتى ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامر ان يحضر اجميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فامر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة واهلها والدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فاشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وامر بتزويج ابنته من الفتى واعطاه الف دينار ونقلت الى اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى باهله الى المدينة فرحم الله تعالى روحهم اجمعين حكاية اجنبية مما اتفق ان الوزير ابا عامر احمد بن مروان كان قد اهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له انى لك هذا قال هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع

الغلام وقال له كن داخلا فى جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك

نفسى وكتب معه هذه الابيات

امولاى هذا البدر سار لافقكم	وللافق اولى بالبدور من الارض
ارا ضيكم بالنفس وهى نفيسة	ولم ار قبلى من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك اهديت للوزير جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان ينهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل فى هدية اعظم من الاولى وارسلها

مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاى هذى الشمس والبدر اولا	تقدم لكى ان يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق	فدم معهما فى كوثر وجنان
فما لهما والله فى الحسن ثالث	ومالك فى ملك البرية ثان

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه عند الناصر ان عنده بقية من الغلمان وحذيه وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاى تعلم انك كنت لى على الانفراد ولم ازل معك فى نعيم وانا وان كنت عند السلطان مشاركا فى المنزلة محاذرا ما ابيد ومن سطوة الملك فتحيل فى استندعاى معه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر واستخبر الخادم فاحسن بالمكيدة فكتب

على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغى	لدى سقوط العير فى غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله	ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا	وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واثر فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى غير مشترك

وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

والقصة في ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن ابى ثور زاهر بن صقلاب قال بلغني انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال له يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر اختى ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها لاباحة النظر من غيران تقربها فاتفقا على ذلك وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا انه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي امرأة تزين له الجوارى كل ليلة فجاءت ميمونة لها وارشتها بمال فزينتها له وادخلتها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت له انا ميمونة وقد كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فتأبى فلما ايست منك احتلت عليك بما رايت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببا في سلب نعمتك وهل انت الا زوجى فقال لها جعفر ويحك اهلكتيني واهلكت نفسك وكان كما قال ولم يزرها حتى ظهر امرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة وهذا ابتداء الحديث قال المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيى بن اكثم القاضي قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك انى كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينما نحن اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لى يا اسماعيل لمن هذا فقلت هؤلاء اخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه في موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذى فيه جعفر فلم يره فقال يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدى قد مضى اخوك في طريق ولم يعلم بموضعك فقال ما آتانا اهلا ان يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت

بما حضرني من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة
حسنة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى
البيدر والى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار اهلها فالتفت الي وقال يا اسماعيل
لمن هذه الضيعة قلت لاخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل
يمر بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكلما مر وسالني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى
حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فلما اردت وداعه والانصراف الى منزلي نظر
الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسماعيل
قلت لبيك يا امير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا
واغفلنا امرهم فقلت في نفسي بلية والله ثم قلت لماذا يا امير المؤمنين قال
نظرت الى هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لاني لا اعرف لاحد من اولادي
ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة فكيف بما
هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق في سائر البلدان فقلت يا امير المؤمنين
انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات واموالهم وكل ما يملكونه لك فنظر
الي نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بني هاشم الا عبيدهم وانهم هم
الدولة وان لا نعمة لبني العباس الا والبرامكة انعموا عليهم بها فقلت امير
المؤمنين ابصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسماعيل انك لتعلم اني
قلت هذا وكاني اراك ان تعلمهم بكلامي فتتخذ لك عندهم يدا واني آمرك ولك
تكتم هذا الامر فانه ما علم به احد غيرك ومتى بلغهم شيء مما جرى علمت انه ما
افشاه الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلي يفشي سرك قال وكان
هذا القول اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا في ايقاع
الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان في محل
يشرف على الدجلة من شرقي مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب
الغربي وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون في كل

يوم الى قصر جعفر فالتفت الي وقال يا اسماعيل هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على
باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب وانا ما على باب داري احد فقلت يا
امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق نفسك بشيء من هذا وان جعفر انما هو
عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى
باب من يكون انما بابه من ابوابك فقال يا اسماعيل انظر اليه دوابهم الست ترى
اعجازهم الى قصري وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف
بعينه والله لا اصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا غيظا فامسكت عن
الكلام وقلت والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته
في الانصراف ورجعت الى منزلي فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت
عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم عليه فاجلسه عن يمينه واكرمه غاية الاكرام وبش
في وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة خدمه وانبلهم واوضحهم
وجها واكملهم ظرفا كاتبا حاسبا لبيبا فسر جعفر سرورا كاملا ووقع في قلبه اجل
موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليه
انفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب
من اجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة ايام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما
خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم يحصي علينا
اخبارنا فقلت ايها الوزير نصيحة افتأذن لي بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه
كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه
وعقد له لواء وعسكر بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر
فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار
عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك
عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا وقال والله يا اسماعيل ما اكل الخبز ابن عمك
او قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا اما كفى اني تركته

لا يهتم بامر شئ من امر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت
امواله اموالا ولا ذلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينيه الى ما ادخرته
واخترته لولدى وعقبى من بعدى وداخله حسد بنى هاشم وبغيهم ودب فيه
الطمع والله لئن سألنى شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا
سيدى ما كان ما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول
منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلى ولم اركب اليه ولا الى الرشيد
لانى صرت بينهما فى حال تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره واين لى
بالدخول بينهما ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان امورهم قد انثلمت قال و
حدثنى خادم ام جعفر ان الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بينى وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما اقرأ الكتاب وفهم
الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا فى ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل فى اليوم الرابع
على زبيدة فخلا بها وشكى لها ما فى قلبه واطلعها على الكتاب الذى رفعه
اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تملكت الحجة عليه
بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم وكان الرشيد يتبارك بمشورتها
فقال اشيرى على برأيك الموفق الرشيد فانى خائف ان يخرج الامر من يدى
ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا امير المؤمنين مثلك مع البرامكة
كمثل رجل سكران غريق فى بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت
من غرقك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة
الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى اسمع منك فقالت ان هذا
الامر قد اخفاه عنك وزيرك وهو اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها
ويحك وما هو فقالت انا اجل من ان اخاطبك به ولكن تحضر ارجوان الخادم و
تشدد عليه وتوهمه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل جعفرا محلا
لم يحله اخوه ولا ابوه وامره ان يدخل على الحريم فى السفر والحضر وابرز اليه جواريه

واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوا امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا
دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي ايضا تستقضيه حاجة فلما افسد قلب الرشيد
وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر
وكان جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن لانهن لا يستترن
منه وكان ذلك بامر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر قال فخرج
الرشيد واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال برئت من
المنصور ان لم تصدقني في حديث جعفر لاقتلنك فقال الامان يا امير المؤمنين
قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك في اختك ميمونة وقد دخل بها
منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له
خمس سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما
الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حامل بالرابع وانت اذنت له بالدخول
على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعه في اي وقت شاء ليلا او نهارا قال امرتك ان
لا تحجبه فحين حدثت هذه الحادثة لم لا اخبرتني اول مرة ثم امر بضرب
عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها ارأيتي ما عاملني
به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم
فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب
طيب الرائحة جبار في نفسه ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه
وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من
جمع بين النار والحطب فخرج من عندها سكرو باقد عا بخادمه مسرور وكان قاسي
القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد
العتمة فائتني بعشرة من الفعلاء اجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
جاء مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى
المقصورة التي فيها اخته فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على

ما فعلت وامر الخادمين بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورته بعد قتلها
ووضعها بحليها وثيابها كما هى وقفل عليها وقد علمت انها بعد قتل رجوان
لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا
وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسيه ثم قال حسبكم
هاتوا الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا
الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس فى موضعه
والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطهم
اجرتهم فاخذهم مسرور وجعلهم فى جوالق وخيط عليهم بعد ان ثقلهم بالصخر
والحصى ورماهم فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور
فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجورهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال
احفظه حتى اسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل القبة التركية
ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد فلما جلس فى مجلسه
وكان يوم خميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس
فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه
السلام احسن رد ورحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته
اقرب المراتب الى امير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة
عليه من النواحى فقرأها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس
ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم
وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات و
نصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا اخى
هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حدث و
لكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهروان تبكر يوم السبت و
تستقبل الطريق بالنهار فانه اصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى

اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام واخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال و
الله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى من البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله
والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى ان وصل
الى قصره فى جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث
اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتنى به الساعة وقل له وردت كتب من
خراسان فاذا دخل من الباب الاول واقف الجند والثانى اوقف الغلمان والثالث
فلا تدع احدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به
الى القبة التركية التى امرتك بنصبها فاضرب عنقه وأتنى برأسه ولا تقف احدا من خلق الله
على ما امرتك به ولا تراجعنى فى امره وان لم تفعل امرت من يضرب عنقك
ويأتينى برأسك ورأسه جملة وفى دون هذا كفاية وانت اعلم وتبادر قبل
ان يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل عليه وقد نزع
ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدى اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا فى هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر قال
وردت كتب من خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه فلبسها
وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفى الثانى
اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من غلمانه ولا الخادم
الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة
المضروبة فى صحن الدار مال به اليها وانزله عن دابته وادخله القبة فلم ير فيها احدا
وفى رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخى ما الخبر
فقال له مسرور انا الساعة اخوك وفى منزلك تقول لى ويلك انت تدرى ما القضية
وما كان الله ليهملك ولا ليغفل فقد امرنى امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه يقول يا اخى

يامسرور قد علمت كرامتي لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك عندي مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من امير المؤمنين وما يوجبه الي من الاسرار ولعل ان يكونوا بلغوه عني باطلا وهذه مائة الف دينار احضرلك بها الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا وخلني اهيم على وجهي فقال لاسبيل الى ذلك ابدا قال فاحملني اليه واوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره علي تدركه الرحمة فيصفح عني قال مالي سبيل الى ذلك ابدا ولا يمكنني مراجعته وقد علمت انه لاسبيل الى الحياة ابدا قال فتوقف عني ساعة وترجع اليه وتقول له قد فرغت مما امرتني به واسمع ما يقول وعد فافعل ما تريد فان فعلت ذلك وحصلت لي السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل به اربعين غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفي يده القضيب اللولو ينكت به في الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك ما فعلت في امر جعفر فقال يا امير المؤمنين قد انفذت امرك فيه قال فاين رأسه قال في القبة قال فأتني برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحيته فطرحها بين يدي امير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت في الارض اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول يا جعفر الم احلك محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا حفظت عهدي ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم يا جعفر أسأت الي والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور



وانا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم الظهر وجه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة فى اموالهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الى العسكر فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما اصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بقى منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وحبس اباه يحيى واخاه الفضل فى مطمورة وامر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان ان يوطن بلادها وامر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر على بن عيسى بن ماهان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بالصبيين ولدى جعفر من اخته ميمونة قاد خلا عليه فى بيته فلما رآهما اعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبى قال الحسين فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدر ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذى دفعته لك وامرتك بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فأتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا فى البيت حفرة عميقا ودعا مسرورا وامره بقتلهما ودفنهما مع امهما فى تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكى بكاء شديدا حتى ظننت بانه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وامر ان لا تذكر البرامكة فى مجلس ولا يستعان بمن بقى منهم فى المدينة ابدا فخرجوا على وجوههم فى البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فساله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها فى صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقى
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت فى غيظه فاستدعى فى
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد فى حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد فى حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ فى النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شفيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتنى مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان فى يدى
عارية منك ولا بأس برد العوارى الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استحق من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتى وارحم ضعفى ووهن قوتى وهب لى رضاك فمن
مثلى الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذرى وصدق نيتى وظاهر طاعتى وتلويح حجتى ففى
ذلك ما يكتفى به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

قل للخليفة ذى الصنائع والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش — والملوك العاليه
ساس الامور وخبر من — ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذي — ن رموا لديك بداهيه
عمتهمو لك سخطة — لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم — اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم — خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطردو — ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا — رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها — فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو — منك الرضا والعافيه
يا من يريد لى الردى — يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك انى مستبا — ح لمعشر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته — ذلى وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من — قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة — والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع — يا اسرتى وشفائيه
من لى وقد غلب الزمان — على جميع رجاليه
يا لهف نفسى لهفها — ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتى — يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا — عودى علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم — كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو — وكفرتمو نعمائيه

هذى عقوبة من عصى	من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكمو	ماخنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم	عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فاتكات على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية و قيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن فعزمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض فبقيت التقط اللحم واصبح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فرجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا البنائهم اساسا
واذا هموا صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله برضيك

واما جعفر فقوله يرضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سألت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا اسيل حاجة	ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

(وفى محمد يقول القائل)

سألت الندا والجود مالى اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا فى ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته منتهى العقول فى منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرم منه كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا الغرض ولا المرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم فى يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفا عن تاديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امى فى يوم عيد اضحى فرايت عندها عجوزا فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامى من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكى ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بنى ان الذى كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثينى ببعض شانك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسى اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابنى عاق لى وقد جئتكم اليوم اطلب جلدى شاتين اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا

قال فحزنني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا من لاعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهول نضرع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشئ شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلم احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغا والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته * قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شئ قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم فی البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال افاديب قال لا قال فعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باى ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وببيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدر حتى صار يملكه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر واخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت حبائل فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاء ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادى اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجل	لاصبح من جدواك قد نفذ الومل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زاد لي الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليمن عرفى ولا عجمى ولئن زادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه واجعلها فى حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالى فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابى يا اخا العرب سمعنى الابيات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك يا فضل فى الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل فى كل بلدة	تحدر هذا المزن فى مهمه قفر
كان وفود الناس فى كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسلت الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلنى قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الآف درهم قال الفضل ذهبت بنا وبنفسك يا اخا العرب تعطى عشرة الآف درهم فى عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا اخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد قوسك واومات به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف سالك ويكون له فى بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه وأوما به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فانشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندا	وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل	فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته	فلا مبق لى بخلى ولا متلف بذلى
ارونى بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمازجوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة ازعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فأتي برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال معلم لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقر فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك و
مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعة
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع		وال

وابن الخلائف من قريش	والملوك العاليه
داس الامور وخبر من	ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذي	ن رموا لديك بداهيه
عمتهمو لك سخطة	لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم	اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم	خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطردو	ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا	رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها	فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو	منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى	يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا	ح لمعشر ونسائيه
يكفيك ما ابصرته	من ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من	قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة	والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع	يا اسرتي وشفائيه
من لي وقد غلب الزمان	على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها	ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي	يا ذا الفروع الزاكيه
[illegible] لعاطفة الملك الرضا	عودي علينا ثانيه

[illegible] على الرق [illegible] على ظهر هذه الابيات

[illegible]	[illegible] نتم ملوكا عاتيه
[illegible]	[illegible] كفرتمو نعمائيه

فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر علمها فبعث
اليه فسأله عنها فقال يا امير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها
فاخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي
من البرامكة فعملت الوقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في
الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد ان يهلكه وزاد في حديده
واغلاله ثم استدعى يحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله ايضا
وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد
يستعطفه ويسأله ان يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم
الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين
من عبد اسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه وخذله شفيقه ورفضه صديقه
وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد
السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكاس الموت مترعه وافترش السخط
بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر
وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا امير المؤمنين قد
اصابتني مصيبتان الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك كان في يدي
عارية منك ولا بأس برد العواري الى اهلها واما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته
وعاقبته بما استخف من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحق واما الفقير فاذكر
يا امير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن
مثلك الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد رجوت ان
افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي
ذلك ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم انشأ

يقول

قل للخليفة ذي الصنائع | والعطايا الفاشيه

وابن الخلائف من قريش	والملوك العاليه
ساس الامور وخير من	ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذ	ن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة	لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم	اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم	خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطردو	ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا	رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها	فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهمو	منك الرضا والعافيه
يا من يريد لي الردى	يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا	ح لعثرتي ونسائيه
يكفيك ما ابصرته	ذلي وذل مكانيه
فلقد رايت الموت من	قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة	والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع	يا اسرتي وشفائيه
من لي وقد غلب الزمان	على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها	ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي	يا ذا الفروع الزاكيه
يا عطفة الملك الرضا	عودي علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهر هذه الابيات

يا آل برمك انكم	كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتمو وطغيتمو	وكفرتمو نعمائيه

هذى عقوبة من عصى	من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكمو	ما خنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم	عند الامور البادية

ثم اردفه بقوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وايس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى وقيل ليحيى ابن خالد بن برمك ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت فى ايام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة اريد التنزه فلما خرجت برجلى لاصعد فاتكات على لوح من الواحها وكان باصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد اتى بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ نشقيت بطنها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية و قيل له اخبرنا ببعض ما لقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وانا فى السجن فعزمت الف دينار فى شهوتى حتى اتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة اخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض فبقيت التقط اللحم وامسح منه التراب واكله وذهب المرق الذى كنت اشتهيته وهذا اعظم ما مر بى انتهى ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت

تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة واوصى لولده الفضل ان يوصلها

الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا	غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضى	وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد نفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا فوجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم فى

البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لم يهدموا البنائهم اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع فى الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلام تسقينى وانت سقيتنى	كاس المرارة من جنابك كاسا
آنستنى متفضلا افلا ترى	ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلى عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال اما الفضل فيفعله يرضيك

واما جعفر فقوله يرضيك	واما محمد فيفعل ما يجد

وفى يحيى يقول القائل

سالت الندا هل انت حر فقال لا	ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة	توارثها من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة	رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسحال اذا سيل حاجة	ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندا والجود مالي اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا في ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وذكر الحافظ السيوطي نفعنا الله به في رسالته منتهى العقول في منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كادان لا يوجد احد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب تكرمه كثيرا في ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر يقولهم تبرمك فلان ومن كرم جعفر انه تكرم في يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما اوقع الرشيد صار امرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على امي في يوم عيد اضحى فرأيت عندها عجوزا في اطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة ام جعفر البرمكي ابن يحيى فسلمت عليها وقلت لها اصابك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بني ان الذي كنا فيه عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شأنك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم اطلب جلدي شاة اجعل احدهما شعارا والآخر دثارا

قال

قال فغمني ذلك وابكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله اعلم
ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني مادام قلمك يرعف فامطره معروفا
ومن كلام جعفر اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا
من غير سبب فتوقى شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني ابي قال
خرج الرشيد للصيد يوما بعدما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدار
بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا آمنا لاعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
اصبحت تفزع من رآك وطالما	كنا اليك من المهول نضرع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة
فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك
بشئ شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد و
القنص وهو في موكبه اذا رأى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية
يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير الجم
الغفير وسمع الغوغا والضجة ظن انه امير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم
اليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته * قال اخفض
عليك ما تقول فقال السلام عليك ايها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس
الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا العرب قال من قضاعة قال من ادناها
او من اقصاها قال من اقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من
العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا اخا العرب مثلك من يقصد
من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شئ قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين

قد اشتهر معروفهم في البلاد فقال من هم قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل افردت لنفسك منهم من اخترته لنفسك واتيته لحاجتك قال اجل قال اطولهم باعا واسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم اعالم انت قال لا قال افاديب قال لا قال فعارف انت بايام العرب واشعارها قال لا قال وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل ابن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة باي ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا امير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما امرت عليك تلقاه وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما برزتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق

بشعرك شيئا قال افتفعل ايها الامير قال نعم قال فاني اقول

الم تر ان الجود من عهد آدم	تحدّر حتى صار يمتطه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر

واخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما ما تقول قال اقول

قد كان آدم حين حان وفاته	اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم	وكفيت آدم عولة الابناء

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس فانشدني غيرهما ما تقول وقد مقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذن اقول

ملت جهابذ فضل وزن نائله	وملّ كاتبه احصاء ما يهب

والله لولاك لم يمدح بمكرمة	خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مانفسه	يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو ان رب المال ابصر ماله	لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذن اقول

ولو قيل للمعروف نادي اخا العلا	لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدواك من بمل عاجلا	لاصبح من جدواك قد نفد الومل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل	واني لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا كما ذكر الورى	وليس لفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل نشدني غيرهما ما تقول قال

اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد	فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا	ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى	ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك الناس شرقا ومغربا	فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل نشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولن اربعة ابيات ما سبقني

اليهن عزف ولا عجمي ولئن زادني بعدها لاجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في حرام الفضل وارجعن الى قضاعة خاسرا ولا ابالي فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابي يا اخا العرب سمعني الابيات الاربعة قال اقول

ولائمة لامتك يا فضل في الندا	فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى	فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل في كل بلدة	تحدر هذا المزن في مهمه قفر
كان وفود الناس في كل وجهة	الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سل ما شئت فقال سألتك بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له فاقلني قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الآف درهم قال الفضل ازدهيت بنا وبنفسك يا اخا العرب نعطي عشرة الآف درهم في عشرة الآف وامر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاي هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من ارض قضاعة قال الوزير اقسمت عليك يا مولاي الا اخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك واومات به الى الاعرابي فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف مالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه واوما به الى الاعرابي وقال له رد سهمي ببيت من الشعر فانشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندا	وسهمك سهم العز فارم به فقري

قال فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا املكت كفي منالا ولم انل	فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله اخلاف الذي قد بذلته	فلا مبق لي بخلي ولا متلفي بذلي
اروني بخيلا نال مجدا ببخله	وهاتوا اكريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم لكفينا شر قوائم ناقته فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك قال لا ولكني ابكي على

مثلك ياكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال	ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر	يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم اجمعين (ويحكى) ان الرشيد قال لابي نواس بعني ذقنك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له الف دينار فدفعها له فاخذها وربطها وقال يا امير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو خائف على ذقنه من امير المؤمنين قال فبينما هو متفكر في شئ يفعله اذ جاءه قاصد امير المؤمنين فلم يقدر ان يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة وكان من شانه ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فتحادثوا وتمالجوا فضرط ابو نواس ضرطة مزعجة اعجبت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك امير المؤمنين وقال له في ذقنك يا معرص فقال في الحال الله اعلم هي ذقن من فقال امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فاخذها وانصرف وكسب الالف دينار بهذه الحيلة والله اعلم انتهى (وكان نصر بن مقبل) عاملا على الرقة فاتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال ايها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما احضر بين يديه قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا امير المؤمنين

البهائم عندی والناس سواء ولو وجب حد علی بهیمة وكانت امی والخنی لحدتهما ولم تأخذنی فی الله لومة لائم فامر الرشید ان لا یستعان به علی عمل فلم یزل معطلا الی ان مات والله اعلم ویحكی ان هارون الرشید امر بقتل ابی نواس فقال انقتلنی شهوة لقتلی فقال لا بل انت مستحق للقتل قال فبم استحقیت القتل

قال بقولك

الا فاسقنی خمرا وقل لی هی الخمر	ولا تسقنی سرا اذا امكن الجهر

فقال له یا امیر المؤمنین افتعلم انه سقانی وشربت فقال له امیر المؤمنین اظن ذلك فقال یا امیر المؤمنین افتقتلنی علی الظن وقد قال الله تعالی ان بعض الظن اثم فقال له الرشید قد قلت ایضا ما تستحق به القتل فقال

ماهو فقال له قولك

ماجاءنا احد یخبر انه	فی جنة من مات او فی نار

فقال له یا امیر المؤمنین هل جاءنا احد قال لا قال أتقتلنی علی الصدق فقال له الرشید ولست القائل

یا احمد المرتجی فی كل نائبة	قم سیدی نعص جبار السموات

فقال له یا امیر المؤمنین او صار القول فعلا قال لا اعلم قال افتقتلنی علی ما لا تعلم فقال له امیر المؤمنین دع هذا كله فقد اعترفت فی مواضع كثیرة من شعرك بالزنا قال ابو نواس قد علم الله هذا قبل علم امیر المؤمنین بقوله تعالی والشعراء یتبعهم الغاوون الم تر انهم فی كل واد یهیمون وانهم یقولون ما لا یفعلون فقال الرشید خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفی الحلی فقال

نحن الذی جاء الكتاب مخبرا	بعفاف انفسنا وفسق الالسن

وعن محمد بن نافع قال رایت ابا نواس فی النوم بعد موته فقلت یا ابا نواس فقال لات حین كنیة فقلت الحسن بن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لی بابیات قلتها فی علتی قبل موتی هی تحت الوسادة فسألت اهله

فقلت هل قال اخي شعرا قال لا لا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا

لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا انا برقعة مكتوب فيها

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
ما لي اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم اني مسلم

(وهذه حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب)

قيل ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال له جعفر اني قلقت وضاق صدري واريد منك شيئا يشرح خاطري فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال علي به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر اخرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي فارسل خلفه فلما حضر قال اجب يا امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فاتى عند الخليفة فسلم وترجم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا علي انني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك ان في ذهنك حكايات واخبار واريد منك ان تسمعني ما يزيل همي وفكري فقال يا امير المؤمنين تريد ان احكي لك شيئا سمعته او رايته فقال ان كنت رايت شيئا فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب نظيف فاودعني اياه فبينما انا ابيع واشتري واذا انا برجل كردي ظالم معتد هجم علي واخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس فقال الناس جميعا امضوا الى القاضي فمضينا الى القاضي وانا بحكمه راضي فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال القاضي في اي شيء جئتما فقال الكردي نحن خصمان قال ايكما المدعي فتقدم الكردي فقال ايد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي وقد ضاع مني ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي

ضاع مني بالامس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان
في جرابي هذا مفقودين من لجين واكحالا للعينين ومنديلا لليدين ومشربتين
من هبنين وشمعدانين ومكنسين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين و
قدرة ودستين ومغرفة ومعلقتين ومسلة ومرودين ومقلمة وعلبتين
وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا و
شاتين ونعجة وخروفين وقطين ابلقين وجملا وناقتين وبقرة وثورين
ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ورواقا
ومقعدين ومطبخا بابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول انت يا علي فتقدمت يا امير المؤمنين وقد بهتني كلامه فقلت اعز
الله مولانا القاضي انا ما في جرابي الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة
للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر و
اطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة
صياد وعصا واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابي
فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيد القاضي جرابي هذا
معروف وكل ما فيه موصوف في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضياع
وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع وان في جرابي
هذا حجرة ومهرين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وارنبين وسكينا
وخنجرين ونجرا وخليجين وكرا وجوختين وعشاري ومركبين وصاري وتينين
وكورا ودكانين ومنقلة وبرذين وعجوزا وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا
وملقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وعيارا وازعرين وجامعا ومدرستين
وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين وقاضيا وشاهدين
يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول انت يا علي فبادرت يا امير
المؤمنين وقد امتلات غيظا وزدت في الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضي ان في

جرابي

جرابي هذا زرد خانات صفاح وخزائن سلاح والف كبش نطاح في عشرين
مراح واربعين كلب نباح وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح وصور واشباح
وقناني واقداح وعرائس ملاح ومغاني وافراح وهرجا وصباح وعبد فلاح
واخا نجاح ورفيقه صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب واصدقاء و
احباب وخلان واصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب
ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات واخوان معلمات وبنات مجليات
وجواري مغنيات وجاريتان حبشيات وثلاثة هنديات واربعة بدويات و
خمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات وثمانية قبجيات وتسعة
كرجيات وعشرة كلبات والدجلة والفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد
وارم ذات العماد والف جواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حمامات وقدوم
ونجار وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار وبواز مع بيطار وعبد اسود بمزمار
ومقدم وركبدار ومدن وامصار ومائة الف دينار وبواب وكستدار ورأس نوبة
وعلم دار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة قماش ودكانان نحاس و
حاصلان معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمياط الى اسوان وايوان
كسرى وملك سليمان ومن كوش نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان و
من الهند الى بلاد السودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل
وعراضي وموسى بحد ماضي يحلق ذقن مولانا القاضي ان حكم ان الجراب ما
هو جرابي فعند ذلك يا امير المؤمنين حار القاضي مما سمع ثم قال اراكما لا شخصين
نحسين تلعبان بالقضاة والحكام لان ما وصفا لو اصفون ولا سمع السامعون
ماوصفتم في هذا الجراب ما هذا الا بحر ليس له قرار ثم امر القاضي بفتح الجراب
ففتحه الكردي فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم اني رميت الجراب قدام
القاضي والكردي ومضيت الى حال سبيلي فلما سمع امير المؤمنين ذلك ضحك
حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وغمه واحسن جائزة علي العجمي وانصرف والله

اعلم (معن بن زائدة الشيباني) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها وقرأها فاذا فيها

(هذا البيت مكتوب)

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى	فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشرة بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان يأخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار الا

(اعطيته له وفيه يقول القائل)

يقولون معن لا زكاة لماله	وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد فى دياره	من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا	كانك تعطيه الذى انت تأمله
هو البحر من اى النواحى أتيته	فلجته المعروف والبر ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو انه	اراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو ان ما فى كفه غير نفسه	لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني اهب الاموال حتى اعف الاكرمين عن اللئام ويروى أن معن بن زائدة خرج فى جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية

على حمار فركب فرسه فاستقبله فسلم عليه وقال له من ابن اتيت قال اتيت من ارض قضاعة وان لی بها ارضا لها عدة سنين مجدبة وقد اخصبت فی هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحت فی غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه الماثور واحسانه المذكور فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال له ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتی دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال ان قال لك كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال ادخل قوائم حماری فی حر امه وارجع الى اهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فاتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر فی دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذی اتی بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاء فی غير اوانها قال فكم املت فينا قال الف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتی دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذی قابلنی على ميشوم ثم قال خمسين دينارا قال كثير قال فلا اقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابی انه صاحبه فقال يا سيدی ان لم تعطنی الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها انا مع معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتی دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابی وتسلم الفی دينار ومائة وثمانين دينارا والغ رحمة الله عليهم اجمعين وقيل كان معن بن زائدة فی بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيئا من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت

احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمايل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر	ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح	واكفان لمن سكن اللحودا

(وقالت الثانية)

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد	كي لا يفوته التقارب والندا

(وقالت الثالثة)

ومن جوده يرمي العداة باسهم	من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه	ويشتري الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي وكان من الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو في بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة امير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فوقف فقال للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة امير المؤمنين اهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام اردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بيني وبين من طلبه امير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدي فامر المهدي باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن اتجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال المهدي ونعم ايضا واشتد غضبه فقال معن يا امير المؤمنين بالامس بعثتني الى اليمن





مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك فى يوم واحد عشرة الآف رجل ولى مثل هذا ايام كثيرة فما رايتمونى اهلا ان اجير رجلا واحدا استجار بى ودخل منزلى فسكن غضبه لهدى وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد قال معن فان رأى امير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضى فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد امرنا له بخمسين الف درهم قال يا امير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجله فاحضر معن الرجل وقال له خذ صلة امير المؤمنين وقبل يده واياك مخالفة خلفاء الله فى ارضه فما كل مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا واخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى وكان معن لا يغيظ احدا ولا احد يغيظه فقال بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان اغاظه اخذها ولم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل فذبح جملا وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يديه معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه

فى وجهه وقال

انا والله لا ابدى سلاما	على معن المسمى بالامير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا انزل بلادا انت فيها	ولو خربت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله فى عونك

فقال الشاعر

وارحل عن بلادك الف شهر	اجذ السير فى اعلى القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة فقال الشاعر

اتذكر اذ قميصك جلد شاة	واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له اعرف ذلك ولا انكره فقال الشاعر

وتأوى كل مسطبة وسوق	بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا اخا العرب فقال الشاعر

ونومك فى الشتاء بلا رداء	واكلك دائما خبز الشعير

فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفى يمناك عكاز قوى	تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفى عليك خبرها اذ هى كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذى اعطاك ملكا	وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال	فانى قد عزمت على المسير

فامر له بالف دينار فقال الشاعر

قليل ما امرت به فانى	لأطمع منك بالشئ الكثير

فامر له بالف دينار اخرى فقال الشاعر

فثلث اذ ملكت الملك رزقا	بلا عقل ولا جاه خطير

فامر له بثلثمائة دينار فقال الشاعر

ولا ادب كسبت به المعالى	ولا خلق ولا رأى منير

فامر له باربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا	وفيض يديك كالبحر الغزير

فامر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل الف دينار فاخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال فى نفسه مثل هذا لا ينبغى ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بان الحامل له على هجوه المائة بعير التى صار الرهن عليها فى نظير اغاظته له فامر له بمائة بعير يدفعها فى نظير الرهن وبمائة بعير اخرى لنفسه فاخذها

وانصرف والله اعلم

خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله

ومما وضع فى بطون الدفاتر * واستحسنته عيون البصائر * ونقلته الاصاغر عن الاكابر * ما رواه خادم امير المؤمنين * قال طلبنى امير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لى احدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رايتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتونى به قال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب

ويقول هذه الابيات

ولما رايت السيف جندل جعفرا	ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى	عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى بوصية فانى لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين فقال حين رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرائب دورهم قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى خضرة عندى افتأذن لى احدثك بحالى معهم قال قل فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع ما على راسى وروس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى

دخلنا بغداد و نزلنا فی بعض المساجد فدعوت ببعض ثیاب کنت اعددتها لاستنزهها فلبستها وخرجت و ترکتهم جیاعا لا شئ عندهم و دخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامکة فاذا انا بمسجد مزخرف و فی جانبه شیخ باحسن زی و زینة وعلی الباب خادمان و فی الجامع جماعة جلوس فطمعت فی القوم و دخلت المسجد وجلست بین ایدیهم وانا اقدم رجلا و أؤخر اخری والعرق یسیل منی لانها لم تکن صناعتی واذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار یحیی بن خالد فدخلت معهم واذا یحیی جالس علی دکة له وسط بستان فسلمنا وهو یعدنا مائة و واحدا و بین یدیه عشرة من ولده واذا بامرد نبت العذار فی خدیه قد اقبل من بعض المقاصیر و بین یدیه مائة خادم متمنطقون فی وسط کل خادم منطقة من ذهب یقرب وزنها من الف مثقال مع کل خادم مجمرة من ذهب فی کل مجمرة قطعة من عود کهیئة الفهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطانی فوضعوه بین یدی الغلام وجلس الی جنب یحیی ثم قال للقاضی تکلم و زوج ابنتی عائشة من ابن اخی هذا فخطب القاضی خطبة النکاح و زوجه وشهدوا ولئک الجماعة واقبلوا علینا بالنثار بنادق المسک والعنبر فالتقطت والله یا امیر المؤمنین ملء کمی و نظرت واذا نحن فی المکان ما بین یحیی والمشایخ وولده و الغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثنا عشر خادما قد اقبلوا ومع کل خادم صینیة من فضة علی کل صینیة الف دینار فوضعوا بین یدی کل رجل منا صینیة فرایت القاضی والمشایخ یضعون الدنانیر فی اکمامهم ویجعلون الصوانی تحت آباطهم و یقوم الاول فالاول حتی بقیت وحدی لا اجسر علی اخذ الصینیة فغمزنی الخادم فجسرت و اخذتها وجعلت الذهب فی کمی والصینیة فی یدی وقمت وجعلت التلفت الی ورائی مخافة ان امنع من الذهاب فبینما انا کذلک الی ان وصلت الی صحن الدار و یحیی یلاحظنی فقال للخادم ائتنی بهذا الرجل فأتانی فقال ما لی اراک تتلفت یمینا وشمالا فقصصت علیه قصتی فقال للخادم ائتنی بولدی موسی فأتاه به فقال له یا بنی هذا رجل غریب فخذه الیک واحفظه بنفسک و بنعمتک فقبض موسی ولده علی یدی

وادخلني الى دار من دورهم فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذعيش

وانتم سرورثم فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير امرني بالعطف على هذا

الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه نفعل

ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي

القوم يتداولوني على مدة عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني افي الاموات

هم ام في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم

فقالوا اقم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية

واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني

ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج

فارفعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر الاخير رايت حجرة

كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني

وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الى مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار

ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق

واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن

البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا امير المؤمنين من الرشيد

ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا في

دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم

واذكر حسن صنعهم الى وابكي على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة

فلما اتى به قال له تعرف هذا الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة

قال كم الزمته في ضيعته قال كذا وكذا فقال له رد اليه كلما اخذته منه في مدته وافرغهما

له ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما راى المأمون كثرة بكائه

قال له يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنيع

البرامكة لو لم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل

بي ما فعل من اين كنت اصل الى امير المومنين قال ابراهيم بن ميمون فرايت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر انتهى قال اسحاق دخلت يوما على المأمون في زمن الورد فقال لي يا اسحاق هل قلت شيئاً في الورد قلت اقول بسعادة امير المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشئ فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهرا متفكرا فلم يفتح لي بشئ فلما اصبحت غدوت الى دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ومعه سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن في الدخول بها عليه فسألته المهلة بها قليلا فامتنع فسألته ثانيا وقلت امهل قليلا ولك بكل وردة دينار فلجا الى ذلك فدفعت له سبعة دنانير واحببت ان لا يصل اليه الورد قبل وصول الشعر وخرجت اقصد الازقة لعلي اسمع شيئاً من احد وينبعث خاطري ولو ببيت واحد فبينما انا كذلك واذا انا برجل يعزبل التراب وهو ينشد و يقول

اشرب على ورد الخدود فانه	اذهى وابهى فالصبوح يطيب
ما الورد احسن من توردِ وجنة	حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكانه	ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتي ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما اقبل سألته ان يمليها علي فابى وقال ان اردت فاعطني بكل بيت عشرة دنانير فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت انا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة فلما جبيت العود قال لجواريه اسكتن فقد جاء اسحاق فقدم ذلك الورد بين يديه وأنشدت الابيات فسمعت التشهيق والنعر من وراء الستارة ثم اخرج الي بدرة فيها عشرة آلاف درهم فاعدت الابيات فاخرج الي بدرة اخرى فاعدت الثالثة فاخرج الي بدرة ثالثة فاخذت في غير الشعر فخرج الي خادم وقال يقول لك امير المؤمنين لو دمت على انشادك لدمنا على البدرة ولو الى الليل

انتهى من حلبة الكميت (ويحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس امير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي اوصاني بها امير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في داري اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزى الله دمشق واهلها خيرا فمن انت من اهلها فقال وعمن تسأل وقلت او تعرف فلانا قال لي ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت له وقعت لي معه قضية فقال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فنمعت اهلها وقد خرجوا علينا حتى ان الوالي خرج في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينما انا هارب في بعض الدور واذا الجماعة يعدون فمازلت اعدو امامهم حتى تجاوزتهم ومررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا اغثني اغاثك الله قال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته بها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجملها وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي

فاقمت عنده اربعة اشهر فی انعم عیش وارغده الی ان سکنت الفتنة وهدأت وزال اثرها فقلت له اتأذن لی فی خروج حتی اتفقد حال غلمانی فلعلی اقف منهم علی خبر فاخذ علی المواثیق بالرجوع الیه فخرجت وطلبت غلمانی فلم ار لهم اثرا فرجعت الیه واعلمته بالخبر وهو مع هذا کله لا یعرفنی ولا یعرف من انا فقال لی علام تعزم فقلت عزمت علی التوجه الی بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ایام تخرج فقلت له انك قد تفضلت علی هذه المدة ولك علی عهد الله اننی لا انسی لك هذا الفضل ولا وفینك مهما استطعت قال فدعا بغلام اسود وقال له انعل الفرس الفلانی ثم جهز آلة السفر فقلت فی نفسی ما اشك انه یرید ان یخرج الی ضیعة له او ناحیة من النواحی فاقاموا یومهم ذلك فی کد وتعب فلما کان یوم خروج القافلة جاء فی السحر فقال یا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واکره ان تنفرد عنها فقلت فی نفسی کیف اصنع ولیس معی ما اتزود به ولا ما اکری به مرکبا ثم قمت فاذا هو وامرأته یحملان بقجة من افخر اللباس وخفین جدیدین وآلة السفر ثم جاءنی بسیف ومنطقة فشدهما فی وسطی ثم قدم لی غلاما وعلی کتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من افخر ما یکون واعلمنی بما فی الصرتین انه خمسة آلاف درهم وشد لی الفرس الذی انعله بسرج ولجام وقال لی ارکب وهذا الغلام الاسود یخدمك ویسوس مرکوبك واقبل هو وامرأته یعتذران الی من التقصیر فی امری ورکب معی من یشیعنی وانصرفت الی بغداد وانا اتوقع خبره لانی بعهدی له فی مجازاته ومکافاته واشتغلت مع امیر المؤمنین فلم اقدر اتفرغ الی ان ارسل الیه من یکشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحدیث قال قد امکنك الله من الوفاء له ومکافاته علی فعله ومجازاته علی صنعه بلا کلفة علیك ولا مؤنة تلزمك فقلت وکیف ذلك قال انا ذلك الرجل واما الضر الذی انا فیه فقد غیر علیك حالی وما کنت تعرفه منی ثم لم یزل یذکر لی تفاصیل الاسباب حتی اثبت معرفته فما تمالکت ان قمت قبلت رأسه ثم قلت له فما الذی صیرك الی ما أری

قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في بامك فنسبت الى وبعث امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد فاخذت انا وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى امير المؤمنين وامري عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة وقد اخرجت من عند اهلي بلا وصية وقد تبعني من ينصرف اليهم بخبري وهو نازل عند فلان فان رايت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم حضر حدادا في الليل ففك قيوده وازل ما كان عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من احضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بفرس الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند امير المؤمنين وخطبي جسيم وان انت احتججت باني هربت بعث امير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فارد واقتل فقال انج بنفسك ودعني ودبر امري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك فان احتيج الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان انا اسلمت في غداة غد اعلمته وان انا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك امير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال اين الرجل فسكت فقال ويحك اين الرجل فسكت فقال ويلك اين الرجل فقلت

يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه وحديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني اريد ان افي له واكافئه على ما فعل معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير المؤمنين بين امرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الا غير الاعرفتني خبره فكنت اكافئه عنك ولا اقصر بوفائي له فقلت يا امير المؤمنين انه ههنا وقد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة اعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه واتني به حتى اتولى مكافأته عنك قال فاتيته اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم اتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء واكل معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى عنها فامر له المأمون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة ابغال بالآتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامر بكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم (ويحكى) عن اسحاق الموصلي انه قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعمدت الى زقاق وقمت لا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير باربعة آذان ملبس ديباجا

فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا فى امره فحملنى السكر وقال لى اجلس فيه فجلست
فلما احس بى الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا انا باربع جوار
يقلن لى انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى
دار ومجالس مفروشة لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة
الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدر واذا بوصائف يتمشين وفى ايديهن
الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود بينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت
وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتنى عن خبرى فقلت انصرفت من
عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت
زنبيلا معلقا فحملنى السكر على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكسبنيه
قالت لا ضير وارجوا ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد
فقالت هل رويت من الاشعار شيئا [تعلم شيئا] ضعيفا قالت فذاكرنا شيئا قلت ان للداخل
حشمة ولكن تبدئين انت قالت صدقت فانشدتنى شعر الجماعة من القدماء
والمحدثين من اجود اقاويلهم وانا مستمع لا ادرى مم اعجب من حسنها ام من
حسن روايتها ثم قالت اذهب ما كان منك من الحصر قلت اى والله قالت
فان رايت ان تنشدنا فانشدتها شيئا الجماعة من القدماء مافيه مقنع فاستحسنت
ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم امرت بالطعام
فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغريب
الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتنى
قدحا ثم قالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى ان كذا
وكذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت بذلك وقالت
كثر تعجبى ان يكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه احاديث ملوك فقلت
كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما
سمعت فقالت لعمرى لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة واخذنا

في المذاكرة اذا سكتت ابتدأت انا حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا في
حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت انك من اظرف الرجال وضوء الوجه
بارع في الادب وما بقي الا شيء واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار
قلت والله لقد يما كنت الفت به ولم ارزقه واعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة و
كنت احب في مثل هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلتي قالت كانك عرضت فقلت
والله ما هو تعريض قد بدأتي بالفضل وانت جدير على ذلك فامرت بعود فحضر
بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن ادبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ثم قالت
هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والمغني لاسحاق
هذا اجعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان
الله اعطى هذا الرجل ما لم يعطه احد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم
لم نزل على ذلك حتى اذا كان الفجر اقبلت عجوز كانها داية لها وقالت ان الوقت قد
حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كنا فيه فان المجلس في الامانات قلت
جعلت فداك لم اكن احتاج الى وصية في ذلك فودعتها وجارية بين يدي الى باب
الدار ففتح لي فخرجت الى داري فصليت الصبح ونمت فاتاني رسول المامون الى
فسرت اليه واقمت عنده نهاري فلما كان العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا
شيء لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فوجدته على عادته فجلست
فيه ورفعت الى موضع البارحة واذا هي قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت
ولا اظن الا انني قد ثقلت واخذنا في المحادثة مثل تلك الليلة السالفة في المذاكرة
والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلي فصليت الصبح و
نمت فاتاني رسول امير المؤمنين الى فمضيت اليه واقمت نهاري عنده فلما كانت
العشية توجه الى خطاياه وقال اقسمت عليك لتجلس حتى اجيء واحضر فلما كان
حتى ان غاب وجالت وساوسي فلما تذكرت ما كنت فيه هان علي ما يخفي من
امير المؤمنين فوثبت مبادرا وخرجت جاريا حتى اتيت الزنبيل فجلست فيه

فرفعت

فرغت الى مجلسي فقالت صدقنا قلت إي والله قالت اجعلها دار اقامة
قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حل من
دمي ثم جلسنا على تلك الحال فلما قرب الوقت علمت بان المأمون لا بد ان يسألني
فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم احسن مني
وجها واظرف قدا واكثر ادبا واطيب ارجا وهو اعرف خلق الله بغناء اسحاق فقالت
طفيلي وتقترح قلت لها انت المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره
معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون
قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسي وهو مغتاظ مني فقال
يا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك اصدقني قلت نعم في
خلوة فاومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له وعدتها بك قال
احسنت فاخذنا في لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق القلب بها فلما صدقنا ان
جاء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب واحذر ان تناديني باسمي قدامها او
بحضرتها وغن وانا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنبيل فوجدناهما
اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما
رآها المأمون بهت في حسنها وجمالها واخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم
احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو اكثر فاخذت العود و
غنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار واشارت الى قلت نعم قالت والله
انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال
يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت
الى مكان قد خلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت العجوز
وقالت للحسن بن سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال
له المأمون ألك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال امتزوجة قال لا والله قال
فاني اخطبها منك قال هي جاريتك وامرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا

تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث احدا فسترته الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لى فى تلك الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار وبوران بالليل والله ما رايت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امراة تقارب بوران فهما وعقلا والله تعالى اعلم اهـ من حلبة الكميت (وقيل كان المأمون يوما ياكل مع ابيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر اليها المأمون واشار اليها كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وابطأت فى الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لها الرشيد لاى شئ صغى الابريق فى يدك فوالله لئن لم تصدقينى الحق لاضربن عنقك فقالت يا سيدى نظر الى عبد الله المأمون واشار الى كانه يقبلنى فانكرت ذلك بعينى فنظر الرشيد الى المأمون فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال اى والله يا امير المؤمنين فقال له هى لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت فى هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول

ظبى كنيت بطرفى	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد	بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكانى	حتى قدرت عليه

(وعن ابى عبد الله النميرى) انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل

وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من اي العرب انت فقالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال او عندك علم بالانساب قالت نعم قال من مضر الحمراء قالت من اي مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي كنانة قال من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واكرمها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه قالت والله انت من بني هاشم قال انا من هاشم قالت من اي هاشم قال من اعلاها منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض و قالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من اكبر الغنائم و وقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وارسل خلف ابيها وخطبها منه فزوجه بها وهي والدة العباس والله اعلم (ومن محاسن الاخلاق) ما حكي عن القاضي يحيى بن اكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه وانا نائم فينغص علي نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى وصل الى الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل الى فراشه ثم رايته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام واهب للصلاة ثم جاءني وقال كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت ان اصيح للغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين لقد خصك الله باخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرهم فهناك الله

بهذه النعمة وانها عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق
قال ما رايت اعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من
ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل
صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحلل فيه كذا وكذا وعرفه كيف
يعمل به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره
فاستدعى بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المأمون ما
فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه
حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جأشه ثم التفت اليه واعاد القول
فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير
المؤمنين سقط من يدي على السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا بأس
عليك اصنع به اربع خواتم والطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص
على اربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال اتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا
قال اشتراه الرشيد بمائة الف وعشرين الفا انتهى (ومن حلمه ايضا) قال يحيى
كنت انا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من اوله الى
آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون في الظل
وهو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في
مكاني ولاكونن في مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس كما اخذت نصيبك
منها فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول المطلع لفعلت
ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال
بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لاخير في صحبة
من لا ينصف (ومن حلمه ايضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها
فقال له المأمون اذا سرقت شيئا فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم
اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط

انه

انك لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه والله اعلم (وروى) بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه في الادب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا في صناعته حافظا للاقدار راويا للاشعار خبيرا بسير الملوك في الايام السالفة بصيرا بالبحث عن امورهم في الايام الآنفة حاذقا في التصنيف ثقفا في التأليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمايل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقد رسابق فبقي حينا من الدهر وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متاخرا فضاق صدره وعيل صبره وضلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكة او ملكة وتربص لذلك الى ان يرى وجها الى ان عزم امير المؤمنين المأمون ان يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فامر المأمون بالاستعداد ليوم سماه للخلو فيه مع الجواري منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزما عليه فعزم هذا الاديب المذكور على ان يتطفل في ذلك على المأمون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير اني رسول امير المؤمنين واستاذن لي عليه فسعى الحاجب عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له يا سيدي ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك انسيت الوعد المتقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن ايها الامير فانه امرني ان لا افارقك حتى آتيه بك وامر المعتصم باسراج

مركوبه واسرع فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر
شيئا من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا انه من بعض خواص
المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله
شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشى
بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل
المعتصم واخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس الفتى
بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من
حسن كلامه واخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال
المأمون اخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغى ان يحضره احد من الناس
الا من هو عديل النفس وقد احسن اخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره
اكثر من اثنين تعطل لقيام احدهما الى الصلاة والى ما بد منه ثم خرج من ساعته
فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما
استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون نهض قائما فقبل
يد المأمون وعاد الى مجلسه واخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن
اخباره وغرايب اشعاره كانه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من
خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر
الحسد لاخيه فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وامر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بانواع الطعام فاكلوا وغسلوا ايديهم ولمجلس الشراب انتقلوا وامر المأمون
باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن واخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا و
الفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى
ملأ عينه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله فسر الفتى بول ولم يجد للمدافعة
سبيلا فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان امره وحاله اذ اخلا
المجلس فما هو الا ان غاب من بين ايديهما حتى قال المأمون لاخيه المعتصم يا ابا

اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا قط اكثر منه ادبا ولا الطف هيئة
ولا اشرف من شمايله فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاء فى مبكر برسالة
امير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا اخى اهو كذلك فقال اى والله الذى
لا اله الا هو فقال المأمون طفيلى ورب الكعبة وغضب وامر الجوارى بالنهوض
فنهضن واقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس من الجوارى والى تغير وجه
المأمون وقف على رأس المجلس واقبل بوجهه على المعتصم وقال يا ابا اسحاق كانى
بك قد اخذت فى نوع الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحمل المزاح وما
هكذا وعدتنى ثم قال والله يا امير المؤمنين ما بليت من احد من الناس مثل ما بليت
من هذا لانه دائما ابدا يعرضنى لمثل هذا واشباهه ويغرى بى ويوقعنى فى كل ورطة
ثم اقبل على المعتصم وقال يا ابا اسحاق سألتك بالله امير المؤمنين الا ما اعفيتنى من
ملاعبتك التى لا تحتمل وتؤدى الى مؤاخذة امير المؤمنين ولم يزل يأتى بهذا و
امثاله حتى شك المأمون فى امره والتفت الى اخيه المعتصم وقال سألتك
بالله يا اخى بحيانى عليك الا ما علمتنى بحقيقة امره فقال المعتصم يا امير المؤمنين
برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت اعرفه او رأيته
قط الا فى يومى هذا فقال الفتى كذب والله يا امير المؤمنين لقد كنت معه دهرى
الاطول وفى موضع كذا وكذا وان هذا فعله معى ابدا فضحك المأمون تعجبا وقال
ادخل فدخل وامره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتنى فصدقه الحديث
على وجهه فاعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وامر باعادة
الجوارى الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون اخبرنى باعجب ما لحقك
فى قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عنى شيئا فقال نعم

(شم انشا يقول)

بينما انا واقد فى البيت مكتئبا	مفكر فى حصول الكد والقوت
وليس فى البيت لى شئ اربه	وبى من الجوع ما يدنى الى الموت

اذا بصوت بباب الدار اسمعه	والاذن مصغية مني الى الصوت
ناديت من ذا الذي ارجو لي فرجا	نادى انا فرج زن لي كرى البيت

فضحك المامون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة اعجابه وقال ثم ماذا قال يا امير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء فوعدته بان يرجع الى مرة اخرى فمضى ومضيت على وجهي لا اعلم اين اتوجه فسالت كل من لقيته من صديق لي كنت استأنس به فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق	جميع سؤاله اين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص	كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا امير المؤمنين على جارية كانها البدر ليلة كماله وهي تقول

ترفق يا غريب فكل حر	يمر بحال سعة وضيق
وكل ملمة ان انت فيها	صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ماهي الا مواساة من قوت ورمت الى صدرى بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فورى فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقي الى ان وقعت هذه القصة وهذا الامر الذي كلفني وحملني على ما فعلت وانشا يقول

لم آت فعلا غير مستحسن	جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكنني في حالة اوجبت	ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المأمون امره واستحسنه وامر له بمائة الف درهم يصلح بها شانه والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار اقرب الناس اليه وآخر خارج من عنده واول داخل اليه وسمى طفيلي المعتصم وانشد للمامون يوما يقول

كانت لقلبي اهواء مفرقة	فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم	شغلا بذلك عن ديني ودنيائي
وصار يحسدني من كنت احسده	وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المامون الابيات وامر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا احضر يوم سرور المامون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التي اشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من اهل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وماماتت حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله اعلم وسرق شاب سرقة فاتى به الى المأمون فامر بقطع

(يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول)

يدي يا امير المؤمنين اعيذها	بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في اخرتها	اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت ام الشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت امير المؤمنين انه ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمتني وهديت لوعتي وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المأمون وعفا عنه وفي حياة الحيوان قال رايت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما بيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو

(قد كتب هذين البيتين)

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم	متى يعشش في اركانك البوم

يوما يعشش فيك اليوم من فرحي	اكون اول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سالتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا امير المؤمنين قد مررت عليه الآن وانا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وانا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لما عدمت رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه او ما علم امير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

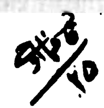
اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير انه	يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم ثم قال هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامرا

(باهله مسرورا بدولته وانشدوا في معنى ذلك)

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا	فعما قليل انت ماض وتارك
فكم دحت الايام ارباب دولة	وقد ملكوا الضعاف ما انت مالك

(ويحكى) انه تنبأ رجل في ايام المأمون فقال ليحيى بن اكثم القاضي يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من انتما فقالا رجلان يريدان يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال افيوحى اليك ام ترى في المنام ام ينفث في قلبك قال بل اناجي واكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل ان تأتياني بساعة



قال فما اوحى اليك قال وحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك الوط خلق الله تعالى فقال له المأمون اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ما قاله عنه المتنبى انتهى ودخل ابو نواس على القاضى يحيى اكثم ودخل معه غلام جميل الوجه فقال الغلام هذا مرعلى وقبلنى كرها ففتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتجميش والبوس كارها	فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة	وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشأ يقول

لقد كنت ارجو ان ارى العدل بيننا	فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها	اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له

باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا	يرى على من يلوط من باس

فقال له الذى يقول

ما ارى الجور ينقضى وعلى الامة وال من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون ان يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنيته خذى العود وغنى

على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهى حى لا حراك له	مزمل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى	فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدى وامير الناس كلهم	قد جار فى حكمه من كان يسقينى

سقانی الراح لم یمزج سلافتها	حتی بقیت سلیب العقل لا الدین

قال الواقدی کان ابراهیم بن مهدی ادعی لنفسه الخلافة بالری واقام مالکها سنة واحد عشر شهرا واثنی عشر یوما وله اخبار کثیرة فمما حکاه قال لما دخل المأمون الری فی طلبی اثقل علی الطلب وجعل لمن دل علی واتاه بی مائة الف درهم فخفت علی نفسی وتحیرت فی امری فخرجت من داری وقت الظهر وکان یوما صائفا وما ادری این اتوجه فمررت بزقاق لا ینفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم انا لله وانا الیه راجعون وخفت ان رجعت علی اثری یعلموا بی فرایت فی صدر الزقاق عبدا اسود قائما علی باب داره فتقدمت الیه وقلت له اعندک موضع اقیم فیه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الی بیت نظیف فیه حصیر نظیفة وبسط ومخاد جلد ثم انه اغلق الباب علی ومضی فخفت ان یکون سمع الجعالة فی حقی وانه عرفنی ومضی لیدلهم علی فبقیت مثل الحبة فی المقلاة تلظا مبیتا من الخوف فبینما انا کذلک اذ اقبل ومعه حمال حامل کل ما احتاج الیه من لحم وخبز وقدر جدیدة وجرة وکیزان جدد ثم التفت الی وقال جعلنی الله فداک انا رجل حجام وانا اعرف انک تتقذر منی لما اتولاه من معیشتی فشانک بما لم تقع علیه یدی وکان لی حاجة الی الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت انی اکلت مثلها قط فلما قضیت اربی قال لی هل لک ان تشرب شیئا فانه یسلی الهم ویزیل الغم ویهدی للنفس الفرح قلت ما اکره ذلک رغبة فی موانسته فاتی بقطرمیز جدید واحضر لی نقلا و فاکهة فی اوانی جدد من فخار ثم قال بعد ذلک ان اذنت لی جعلت فداک ان اقعد بناحیة منک وآتی بشراب فاشرب سرورا بک فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الی خزانة له فاخرج عودا اصلحها ثم قال یا سیدی لیس من قدری ان اسألک ان تغنی ولکن قد وجب علی مروتک حرمتی فان رأیت ان تشرف عبدک بان تغنی لنفسک والعبد یسمع فافعل فقلت له ومن این

لك انى احسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابراهيم
ابن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة الف
درهم فلما قال ذلك عظمت مروئته عندى وعلمت ان نخوته اجل مما بذل فناولت

العود فاصلحته وقد مر بخاطرى ذكر اهلى وولدى فقلت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله … واعزه فى السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا … فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضبك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به … عقد المكاره فهو يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة … فلعلها ان تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن … واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا … خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى … وكان لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء … فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضابه واستنطقته ثم قال ان رايت
يا سيدى ان تأذن لى ان اغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير اهل هذه
الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى ادبك ومروئتك فاخذ العود ثم قال

دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى احبابنا طول ليلنا … فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم … سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى … جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما … نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عنى كل ما كان عندى من الهلع وسألته يغنى فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا
فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا انا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

وانا لقوم لا نرى الموت سبة
اذا ما راته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عنى كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلنى
من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلنى النوم قبل اوانه فنمت ولم استيقظ الا بعد
المغرب وجال فكرى فى هذا الحجام وادبه وظرفه وكيف غناؤه وادبه واردته
ان يسليني عما انا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت
وغسلت وجهى وايقظته واخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير ومصاغ
لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له انت فى وداعة الله وحفظه فانى ماض عنك
ان تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى اذا امنت
المزيد فاعادها على مبادرا وقال ياسيدى الصعلوك منا لا قيمة له عند اهل
الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبنى الله من قربك
وحلولك فى منزلى ثمنا لا والله فالححت عليه فاخذ موسى له بيده وقال والله ان
راجعتنى لاذبحن نفسى فخشيت عليه واخذت الخريطة واثقلنى حملها فلما انتهيت
الى باب الدار قال ياسيدى ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندى فى
مؤنتك ثقلة فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته ان يكون منفقا
من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بى مثل ما فعل فى اليوم الاول فاقمت
فاقمت اياما فى اطيب عيش واهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل
عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابى وتزييت بزى النساء بالخف
والنقاب وخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف والفزع امر شديد
ومشيت لاعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فابصرنى بعض من كان فى خدمتى

من الجند فتعلق بي وقال طلبة امير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق و
صار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا
فوجدت بابا وامرأة واقفة فيه فقلت ياسيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف
فقالت ادخل فدخلت فاطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت
ليهدأ روعك فانه لايعلم بك مخلوق ولو اقمت سنة ماعليك بأس واذا بالباب
يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ
الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ماذا هالك قال ان حديثي عجيب وامري
غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي
لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ماترين من حالي ولو حملته الى امير المؤمنين
لاخذت منه مائة الف درهم قال فاخرجت له خرقا وذرورا وفرشت له بعد
كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لي اظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لي
اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت لي اني
خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على امرك فينم عليك فالنج بنفسك فسألتها
امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت
الى بيت مولاة فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت
كانها تريد اكرامي فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام للضيافة فظننت خيرا فلم
اشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت
عيانا وحملت مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي عليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لي لاسلمك الله ولا حفظك
ولا رعاك فقلت يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى
ومن تناولته يد الاقتدار بما مد له من اسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر
وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح عفوك فوق كل ذي عفو فان تأخذ فبحقك

(وان تعف فبفضلك وانشدت اقول)

ذنبي اليك عظيم — وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا — فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي — من الكرام فكنه

قال فرفع راسه الي فقلت مبتدرا

اتيت ذنبا عظيما — وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن — وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرايت روايح الرحمة في شمايله ثم اقبل على اخيه ابي اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون في امره فاشار الكل بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن ابي خالد ماتقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المأمون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي همو قتلوا اميم اخي — فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين اعظم من ان انوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر

ولكن اقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها — في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة — وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني — اسبابها الا بنية طائع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله — عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اشبالا كافراخ القطا — وحنين والده بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك

وضياعك فانشدت اقول

نسخة سفكت
نسخة نات

رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
امنت منك وقد خولتني نعما ... نعم الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به ... والمال حتى اسل النعل من قدمي
وان جحدتك ما اوليت من نعم ... اني الى اللوم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وامر لي بمالي وخلع علي وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت انا بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم اتدري لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما اوقع علي وملكك اياي في يدك تفعل بي ما تشاء فقال اخطات ولكن شكرا لله تعالى على ما الهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال واعظم من عفوي عنك اني لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثني بما كان من امرك فحدثته بما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته والمولاة التي سلمتني فامر المأمون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة في المال قال هل لك من ولد او زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وامر بتخليدها في السجن ثم احضر الجندي وامراته والحجام فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل قال رغبة في المال فقال انت اولى بان تكون حجاما من ان تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس في مكان الحجام ليتعلم الحجامة واحسن الى امراة الجندي وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امراة اديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندي وما فيها وخلع عليه واثبته برزقه في الديوان وزيادة الف دينار في كل سنة ولم يزل كذلك الى ان مات والله اعلم (وعن محمد بن عبد الله التميمي) قال حدثنا احمد بن محمد

الحريري قال كان لحمدونة بنت عبد الرحمن الهاشمي من الاموال ما لا يسعه
الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت ادب نساء بني هاشم وافصحهن
لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب
سرا وكان المأمون جالسا في ايوان قد ابتدعه لم يبتدع مثله احد من الخلفاء
قبله وكان قد تنوق في بنائه وكان فيه من كل صورة في البر والبحر ممثلة
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر واسبل عليه
ستورا من الحرير الصيني وقد اقام فيه اربعمائة وصيفة بقراطق الحرير و
قلانس الوشي بطرر شعورها واصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن
على الاخرى اقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال يا حمدونة هل
كان لابيك او لبعلك او لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه و
مثل هؤلاء الجواري مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله وعمر
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما لست اهله لتر فهك وشرفك فان اجبت خادمتك
حمدونة اجلستك في مجلس لم تجلس في مثله قط واصادتك صيدا لم تصد مثله
قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن اكثم فقال
لها يا حمدونة قد اجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنيني ذلك الا بمشهد
من يحيى بن اكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم ضربت
يدها الى جيبها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشوة مسكا اذفر فدفعتها
الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي اجرته وهذه اجرتك فلا
تكن مستجمنا الى امير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته
فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره
فلما كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت
في كبد السماء قال يحيى يا امير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالامس فتطرب
المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك

بجاريتين مصريتين بغاشيتين وركباها حتى اتيا دار حمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعتة فاقبلت بنفسها حتى فتحت الباب واقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد حمل على اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت ثلاثة اسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهي

ما سرني ان نؤادي ولا	ان لساني يوما خلا
وان لي ملك بني هاشم	يجئ الى اود اولا
ان لم اراك يا مالكي	تاتي الى كن امقبلا
يا سائلي دوحي بلا علة	انت المعافي وانا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما ملك احد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشا ارمني معفور منقوش باللآلي واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الوبش وفي البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والند والعود مصفوف في اواني الذهب والفضة وهي تلوح منه روائح لايدري ماهي من طيبها ثم اخرجتهما الى اربعة ميادين فيها انواع الرياحين حول البيت فقال ان هذا الاسحر بوثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليماني قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا ايديهما ثم امرت فقدم اليهما قناني الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد اتت عليه الايام والاعوام فهي تحكي الهوى لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين ايديهما مع اقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رايت مثل هذا قط ثم اخرجت جاريتين عليهما جباب لوشي الكوفي المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفي حجريهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجي مليح من انواع الاغاني

وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه الجنة مما نرى فيها من غرائب الطيب والجوهر
فقال يحيى وقد بقي لنا يا امير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال
الصيد يا امير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا حمدونة ما فعل الصيد فقالت
قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت
البستان باحسن ما نقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفاخت والقمري
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار وتغرد بالسرور
الاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار ابطر وشعور وخدود
ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن ابهى من صاحبتها واحسن
وعليهن من الوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي اوساطهن مناطق الذهب
الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تغادين ما بين
الاشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت امرتهن فتضاعف السرور
على المأمون واعجب المأمون بذلك اعجابا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين رايت فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء
فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت
حمدونة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا تحل الجحل بهن عليك وقد فهمت
المعنى فيه وقد كانت حمدونة تغار على المأمون فخلى عن الجواري وقال ليحيى دونك
والصيد اذ انت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون
انا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فغداخلفهن فاخذ منهن خمسة
فقالت حمدونة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المأمون لحاجتي اليه
فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رايت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم
لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رايت ذلك فقال المأمون انا برئ من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنتف من جدي العباس ان ذهبت من البستان ولم اتزوجها
ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المأمون الف الف دينار

واقطعها

واقطعهما مائة من منتخبات الضياع فحمدت حمدونة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وامرت ليحيى بعشرة الآف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكى) ان المأمون كان مشغوفا بحب جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها واعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية احسن منها فى العقل والادب وكتمت امرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة	البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام يا سيدى	مستمتعا فى هذه الجاريه
واجعل لمن اهداكها زورة	تحظى بها فى الليلة الثانيه

فاعجب المأمون ما راى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم ووصلها بعد ذلك (وحكى) ان المأمون مر يوما على زبيده ام الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى امير المؤمنين فالح عليها وقال لا بد ان تقوليه قالت له قلت قبح الله الملاحة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فامرنى ان اتجرد من اثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له اموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من اثوابى وطفت القصر عريانة وانا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح جارية واشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم اعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق

فابيت وقلت والله لتطأنها فالححت عليه واخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ار جارية اقبح ولا اشوه خلقة من اصل مراحل فامرته ان يطأها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سبب القتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول قاتل الله اللحاحة اى التى الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى شاعر المأمون) فقال لقد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا	اذ بجمال الوجه رقاكا
بغداد من نورك اشرقت	واورق العود بجدواكا

قال فاطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابى وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا	ان الذى املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه	ولو حوى شيئا لأعطاكا

فقال يا امير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك المأمون وامر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن اشياخه قال امر المأمون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فرآهم طفيلى فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لاشك انها نزهة فلم يكن الا يسيرا وقد قيدوا القوم وقيد معهم فعلم انه وقع فيما لاطاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على المأمون فاستدعى بهم باسمائهم واحد بعد واحد وجعل يذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا اعلم يا امير المؤمنين غير انا رايناه معهم فجئنا به فقال يا امير المؤمنين امراته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيئا ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال اوقد بلغ من شؤم التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن

يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا امير المؤمنين هبه لى وانا احدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رايت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فاخذت فى عمل الحيلة التى الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده اليوم اصحابه تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندماؤه فقلت له ما اسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت ورائهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداكما استبطاكما فلان اعزه الله ولم ازل معهما حتى اتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك الا انى معهما فرحب بى واجلسنى فى افضل الاماكن ثم جئ بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جئ بالماء فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا اشكل مليح ما رايت احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كانها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست واتى بعود فجسته احسن جسة واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فاصبح خدها — وفيه مكان الوهم من نظرى اثر
وصافحها كفى فآلم كفها — فمن ضم كفى فى انا ملها عقر

فهيجت يا امير المؤمنين بليا الى فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

اشرت اليها هل عرفت مودتي	فردت بطرف العين انى على العهد
فحادت على الاظهار عمدا بسرها	وحادت عن الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما اصابني من الطرب الذى لم املك نفسي معه ثم غنت تقول

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا	واياك لا نلهو ولا نتكلم
سوى اعين تبدى سرائر انفس	وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارت افواه وغمز حواجب	وتكسير اجفان وكف يسلم

فزاد حسدى لها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقى عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان منى ورايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما املت واحببت ان اتلافى قضيتى فقلت اثم عود غير هذا قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا	اصممن ام قدم بالبلاء بلينا

فما اتممت شعرى حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدى تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدى والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامى وطربوا غاية الطرب فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم ابياتا فرايت من طربهم شيئا عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت

هذا محبك مطويا على كمده	وجدا ودمعه تجرى على جسده
له يد تسال الرحمن راحة	مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا فى حبه دنفا	كانت منيته فى عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذى كنا فيه ليس بشئ

وشربوا

وشربوا القوم فلما جاء هم البسط واخذ المجلس منتهاه امر صاحب البيت عبدين له
ان يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله ياسيدى ذهب ما
مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يامولاى من انت
فجعلت ارد عليه وهو يقول ويقسم على الى ان اعلمته من انا على الحقيقة فلما
سمع ذلك قام على قدميه وقال عجيب ان تكون هذه المكارم الالمثلك وقد
اصابنى من الدهر نعم لااقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة ام منا ما اقمت
انى لا ازال هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى فانى احقر من ان اجالس الملوك
فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى اوجب حضورى
عنده بالطف تعريض فاخبرته بامرى على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له الطعام
قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس
افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يافلانة وهو
يخرجهن واحدة بعد واحدة وانا لا ارى صاحبت الكف والمعصم الى ان اتت
اربعون امرأة فقال والله ما بقى الا اختى وها انا مخرجها اليك فقلت افعل
فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرايت يدها ومعصمها فاذا هى التى رايتها
فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان ياتوا بعشرة شهود ثم قام واخرج عشرين
الف درهم والفا اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب
اختى فلانة واشهدكم انى قد زوجتها له وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت
قبلت الزواج ثم دفع الالف التى كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم
قال ياسيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك فاعجبنى ما كان من كرمه
واستحييت ان ادخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى
فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا
فاولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فتعجب المامون من
كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم اطلق الطفيلى

وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه وعقله وادبه فصيره من
جملة خواصه ومنادميه والله اعلم

ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام قيل انه اصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عتيدا فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه فاوتر المعتصم في ذلك اليوم اربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وانشد ابو تمام حبيب بن

اوس الطائي يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان جس عودا رايت الخيل راقصة	كانها من سماع هزها نغم
او حركت يده اليمنى له وترا	على اعاديه غنى اليوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك احمد بن حنبل على ان يقول ذلك فلم يقل رضي الله عنه وله معه كلام طويل فانظره في حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ما روى عن احمد بن ابي دواد القاضي انه قال جئ بتميم بن جميل الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فاعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر اين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال اما اذا اذن امير المؤمنين في الكلام فاني اقول الحمد لله الذي احسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل وانار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو اشبه بك واليق ثم انشد

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا | يلاحظنى من حيث لا اتلفت
واكبر ظنى انك اليوم قاتلى | واى امرئ عما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى ياتى بعذر وحجة | وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف | يسل على السيف فيه وبصلت
وما جزعى من اموت واننى | لاعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم | واكبادهم من حسرة تتفتت
كانى اراهم حين انعى اليهم | وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا فى سرور ونعمة | اذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا ابعد الله داره | وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله ان يسبق السيف العذل قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله واعطاه خمسين الف دينار انتهى من زهر الكمام فى قصة يوسف عليه السلام (وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغنى) قال تطفلت تطفيلة قامت على امير المومنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت له يا امير المؤمنين ان رايت ان اخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه امير المومنين قال نعم فامر البوابين ان يتركونى فخرجت امشى فى الرصافة واذا بجارية كان الشمس تترقرق من جبينها فتبعتها ورايت معها زنبيلا فوقفت على فاكهانى واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتنى فقالت يا ابن الفاعلة الى اين قلت خلفك يا سيدتى فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك احد فيقتلك فتأخرت ومشيت وتمشت امامى ثم التفتت فرأتنى فشتمتنى شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست انا عند الباب وقد ذهب عقلى ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم البث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما وصلا

الى الباب اذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا ان صاحب المنزل قد دعاني
وجيء بالطعام فأكلنا وغسلنا ايدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة
فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي
ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته في حجرها فغنت فشربوا وطربوا [illegible]
وتشكت في فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي مخارق فلم البث ان قلت يا جارية
شدي يديك فشدت اوتارها وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال
فاستدعيت بمدورة وقضيب وغنيت الصوت الذي قالته الجارية فقاموا
الي وقبلوا رأسي قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا وكان يوقع
بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم
تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك
قلت طفيلي اصلح الله شأنكم واخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه
اما تعلمان اني اعطيت في هذه الجارية ثلاثين الف درهم فامتنعت من بيعها
قالا نعم قال هي لك فقال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك عشرة
آلاف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما
مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا مولاتي اعيدي كلامك فتستحي مني
فاحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل له انه انتبه
فطلبك في منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه
ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين لا تعجل و
حدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وامر لكل واحد منهم
بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى (حكاية غريبة عن مثلها) قال الاصمعي
دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا بباطية
وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى
جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين

عليه فقلت بيت

كانك اثلة في ارض هش ... اتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين بمحلقة وقال لي الكلام انثى والجواب ذكر وانت

كانك بعرة في لست كبش ... مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر وترويه فقال كيف لا اقول الشعر وانا امه وابوه فقلت له ان عندي قافية تحتاج الى غطاء كبير فقال هاتها ما عندي فغطست في بحور الاشعار فما وجدت قافية اصعب من الواو المجزوم منه فقلت

اقوم بنجد عهدناهم ... سقاهم الله من النو

وقلت اتدري النو ماذا فقال

نو تلالا في دجا ليلة ... حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لو سار فيها فارس لانثنى ... على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوي الكشح هضيم الحشا ... كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جوي السما والريح تعلو به ... اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره ... فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للفنا شرعت ... كفيت ما لاقوا ويلقو

قال فعلمت انه لا شئ بعد الفناء ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت له ويلقو ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ما قلته ... فانت عندي رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال

البو سلخ قد حشي جلده	يا الف قرنان تقوم او		

فقلت له او ماذا فقال

او اضرب الرأس بصوانة	تقول في ضربتها قو		

فخفت ان اقول له قو ماذا فيضربني و يكمل البيت فقلت له انت ضيفي الليلة فقال لا يأبي الكرامة الا لئيم فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته انا و زوجتي وابناي و بنتاي و قلت له فرق يا بدوي فقال الرأس للرأس والعطاني للرأس و قال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجوز لها العجز و انا زائل الزور و اكل الدجاجة و نحن ننظر اليه و بتنا نتحدث فلما اصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال تريد شفعا او وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كانك تريد بالفرد فقلت نعم فقال انت و زوجتك و دجاجة و ابناك و دجاجة و ابنتاك و دجاجة و انا و دجاجتان فقلت لا ارضى بهذه القسمة فقال كانك تريد شفعا فقلت نعم فقال انت و ولداك و دجاجة و زوجتك و بنتاها و دجاجة و انا و ثلاث دجاجات والله لا احول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر و مرة في الدجاج ثم انصرف انتهى

خلافة امير المؤمنين الواثق بالله

قال ابنه محمد الذي يقال له المهدي بالله كان ابي الواثق بالله اذا اراد ان يقتل رجلا احضرنا في ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ اتي بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابي عبد الله يعني ابن ابي دواد وادخل الشيخ في مصلاه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير المؤمنين بئس ما ادبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وانت والله ما حييتني بها ولا باحسن منها فقال ابن ابي دواد يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول في القرآن فقال الشيخ لم تسألني

السؤال أسأله فقال له الامير سله فقال الشيخ لابن ابى دواد ما تقول فى القرآن فقال ابن ابى دواد مخلوق فقال الشيخ هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين والخلفاء الراشدون ام شئ لا يعلمونه فقال شئ لا يعلمونه فقال سبحان الله شئ لا يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلنى قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ما تقول فى القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والخلفاء الراشدون ام لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام ابى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يقول هذا شئ لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفا الراشدون وعلمته انت سبحان الله انتهى (وذكر الحافظ ابو نعيم فى حليته) قال الحافظ ابو بكر الآجرى بلغنى عن المهدى رحمة الله انه قال ما قطع ابى يعنى الواثق الا شيخ جئ به من المصيصة فمكث فى السجن مدة ثم ان ابى ذكره يوما فقال على بالشيخ فأتى به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له يا امير المؤمنين ما سلكت بى ادب الله ولا ادب رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وامر النبى صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال ابى وعليك السلام ثم قال لابن ابى دواد سله فقال يا امير المؤمنين انا محبوس مقيد اصلى فى الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودى تحل ومر بماء اتوضأ به اصلى ثم سلنى فامر به فحلت قيوده وامر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن ابى دواد سله فقال الشيخ المسألة لى فمره ان يجيبنى فقال سل فاقبل الشيخ على ابن ابى دواد فقال له اخبرنى عن هذا الامر الذى تدعوا الناس اليه اشئ دعا اليه النبى صلى الله عليه وسلم قال لا قال افشئ دعا اليه ابو بكر الصديق رضى الله عنه

بعده قال لا قال افتثئ دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال افتثئ دعا اليه عثمان بن عفان بعدهم قال لا قال افتثئ دعا اليه على بن ابى طالب بعدهم قال لا قال الشيخ افتثئ لم يدع اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على تدعوانت الناس اليه ليس يخلوان تقول علموه او جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه توسعا وسعنا وايّاك من السكوت ما وسع القوم فان قلت جهلوه وعلمته انت فيا لكع ابن لكع شئ يجهله النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وتعلمه انت واصحابك قال المهتدى فرايت ابى وثب قائما ودخل الحجرة فجعل ثوبه فى فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول صدق الشيخ الى آخر ما تقدم وقال المهتدى ما زلت اقول القران مخلوق صدرا من خلافة الواثق حتى اقدم علينا احمد بن دواد شيخا من اهل الشام فادخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة فرايت الواثق قد استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ فاحسن السلام ودعا فابلغ واوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال يا شيخ ناظر ابن ابى دواد على ما يناظرك فقال الشيخ يا امير المؤمنين ابن ابى دواد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا وقال ابو عبد الله بن ابى دواد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك انت قال الشيخ هوّن عليك يا امير المؤمنين ما بك واذن لى فى مناظرته فقال الواثق ما دعوتك الا للمناظرة فقال الشيخ يا احمد يا ابن ابى دواد الام دعوت الناس ودعوتنى اليه فقال ان تقول القران مخلوق لان كل شئ دون الله مخلوق فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان رايت ان تحفظ على وعليه ما نقول فقال افعل فقال الشيخ يا احمد اخبرنى عن مقالتك هذه واجبة داخلة فى عقدة الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم فقال الشيخ اخبرنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله عز وجل الى عباده هل ستر شيئا مما امر الله به فى دينه فقال لا قال الشيخ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقالتك هذه فسكت ابن ابى دواد

فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا امير المؤمنين قل واحدة فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن الله عز وجل حين انزل آخر القران على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا أكان الله صادقا في اكماله ام انت الصادق في نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا فسكت ابن ابي دواد فقال الشيخ اجب يا احمد فلم يجبه فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل اثنتان فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه اعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام جهلها فقال ابن ابي دواد علمها فقال فدعا الناس اليها فسكت ابن ابي دواد فقال الشيخ يا امير المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة فقال الشيخ يا احمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب امته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال ابن ابي دواد نعم فاعرض الشيخ عنه واقبل على الواثق فقال يا امير المؤمنين قد قدمت ان احمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة يا امير المؤمنين ان لم يتسع لك من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلا وسع الله على من يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثما وعلي رضي الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع ضرب الشيخ بيده فاخذ القيد فوضعه في كمه فقال الواثق لم فعلت هذا فقال الشيخ لاني نويت ان اقدم الى من اوصي اليه اذا مت ان يجعله بيني وبين كفني حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم القيمة واقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع اهلي وولدي واخواني بلا حق اوجب ذلك علي فبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ثم ساله الواثق ان يجعله

فی حل وسعة مما نالہ منہ فقال الشیخ یا امیر المؤمنین لقد جعلتک فی حل وسعة من اول یوم اکراما لرسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اذ انت رجل من اھلہ فقال الواثق لی الیک حاجة فقال الشیخ ان کانت ممکنة فعلت فقال الواثق تقیم عندنا تنتفع بک فتیاننا فقال الشیخ یا امیر المؤمنین ان ردک ایای الی الموضع الذی اخرجنی منہ ھذا الظالم انفع لک من مقامی عندک فقال ولم ذلک فقال لاسیر الی اھلی وولدی فاکف دعاءھم عنک فقد خلفتھم علی ذلک فقال الواثق افتقبل مناصلة تستعین بھا علی دھرک فقال الشیخ یا امیر المؤمنین انا غنی وذو ثروة قال فتسالنا حاجة قال وتقضیھا قال نعم قال تخلی سبیلی الی السفر الساعة وتاذن لی قال اذنت لک فسلم علیہ الشیخ وخرج قال صالح فقال المھتدی باللہ فرجعت عن ھذہ المقالة من ذلک الیوم واللہ اعلم (فائدة) روی الدار قطنی وشیخنا الحاکم وابن عدی عن عمر ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم کان فی محفل من اصحابہ اذ جاء اعرابی من بنی سلیم قد اصطاد ضبا وجعلہ فی کمہ لیذھب بہ الی رحلہ فرای جماعة محتفین بالنبی صلی اللہ علیہ وسلم فقال علی من ھؤلاء قالوا علی ھذا الذی یزعم انہ نبی فاتاہ فقال یا احمد ما اشتملت النساء علی ذی لھجة اکذب منک ولولا ان تسمینی العرب عجولا لقتلتک فسررت بقتلک الناس اجمعین فقال عمر یا رسول اللہ دعنی اقتلہ فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اما علمت ان الحلیم کاد ان یکون نبیا ثم اقبل الاعرابی علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال واللات والعزی لا آمنت بک حتی یؤمن بک ھذا الضب واخرج الضب من کمہ وطرحہ بین یدیہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یا ضب فتکلم الضب بلسان فصیح عربی صریح یفھمہ القوم جمیعا فقال لبیک وسعدیک یا رسول رب العالمین فقال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم من تعبد قال الذی فی السماء عرشہ وفی الارض سلطانہ وفی البحر سبیلہ وفی الجنة رحمتہ وفی النار عذابہ قال فمن انا یا ضب قال انت رسول رب العالمین وخاتم

النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابى اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله حقا والله لقد اتيتك وما على وجه الارض احد ابغض منى اليك
والله لانت الساعة احب الى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى و
داخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذى هداك الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى
الا بصلاة ولا يقبل الصلوة الا بقراءة قال فعلمنى فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم
الحمد لله وقل هو الله احد فقال يا رسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز
احسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين
وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله احد ثلاثا او قال ثلاث مرات فكانما قرأت القرآن
كله فقال الاعرابى ان الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان
الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا امير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك
وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فانى لا اعرفك قبل اليوم قال ابن خليلك
آدم فقال يا غلام اعطه درهما فقال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارأيت
لو قسمت المال بين اخوتك اولاد جدى آكان ينوبك منه حبة فقال لله درك
ما اذكى فهمك فامر له بعطاء وانصرف مكرما

خلافة المتوكل على الله

(حكى عنه) انه قال ذات يوم لابى العيناء ما اشد ما مر عليك فى ذهاب عينيك
فقال فقد رؤيتك يا امير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجائزة
نفيسة (ومما حكاه ابو القاسم على بن محمد الذهبى) عن ابى عبد الله النحوى
قال لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر راى فى الطواف جارية فى نهاية الحسن
فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد روّاها الاشعار والاخبار والنحو و
العروض وقد احسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة الف درهم
فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وما

ومايجده منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها اياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وامره معها مستور ففطن به سويد بن ابي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد مايكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخته (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بثمانية الف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر في امور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين ولا يأمن امير المؤمنين ان تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير المؤمنين في اصلاحها وقد انهى المملوك ذلك امير المؤمنين ايده الله وهو اعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة وأت بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذي اقدمك قال امير المؤمنين امرني اني آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر للخادم بكرسي فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلي لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غني لا تزود منك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

الله من لمعذبين وما هما	بثمانية العذال والحساد
اما الرحيل فحين جد تحملت	مهج النفوس به من الاجساد

من لم يبت والبين يصدع شمله	لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ماحل
بهما فقال ايها الاميران وايت ان امضى وادعكما على ما انتما عليه واتعلل عنكما لامير
المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلفه مثل ابى سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق
بنا فقالت الجارية والله يا سيدى لا يملكني غيرك ابدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن نفسي
فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين لكان لى فى ذلك اوسع حيلة ولقد وددت
ان يأخذ منى يا امير المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملى ويبقيك على ولكن
هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت منى ومن هذه
الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك ان صنائع
المعروف تقى مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلى فخذها وامض
بها الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى
وبكت وبكى نرجس ثم اخذها وخرج وهى تبكى وتخمش خدها ووجهها ثم حملها
نرجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك
يا نرجس فقال وراءى يا امير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما
ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد محمد من هذه الجارية فقال
يا امير المؤمنين والذى خفى اكثر مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب
المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان
تزهق روحه وقد امرت له بمائة الف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت امر ابى
سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم
بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان
من شدة الكرب والوجد وقد احدقت به الجوارى يروحنه بالمراوح فقال
ابشر يا محمد ان امير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير ان يوقع نظره عليها
وقد حكمك فى ابى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب

اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى ابى سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قراه قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وان تهدم منى ركنا انت شيدته وان تضيع صنيعة اصطنعتها الى مثلى فتلى من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لى امير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم اقره على ما كان عليه وامر ان يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه فى اطيب عيش واحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف انتهى واتى المتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الديروانى وكان محمد هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الديروانى فلما مثل بين يدى المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن بعفوك يا امير المؤمنين وانشد يقول

ابى الناس الا انك اليوم قاتلى	امام الهدى والعفو بالحر اجمل
تضاءل ذنبى عند عفوك قلة	فجد لى بعفو منك فالعفو افضل

فقال المتوكل خلوا سبيله ثم قدم ابن الديروانى فقال اضربوا عنقه فقال سبحان الله يا امير المؤمنين تعفو عن الراس وتقطع الذنب فضحك المتوكل وعفا عنه انتهى (وكتب محمد بن عبد الملك بن الزيات) وهو فى السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من شدة ما قاسى من الاهوال والعذاب فى السجن يقول فيها هذين البيتين

هى السبيل فمن يوم الى يوم	كفرحة النائم الفرحان باليوم
لا تعجلن رويدا انها دول	دنيا تنقل من قوم الى قوم

فلما قراها المتوكل رق له وبكى وامر باطلاقه فذهبوا الى السجن فوجدوه ميتا رحمه الله

خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله احمد

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعد ان اخلقته الاتراك وازالته
وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بابى العباس انشئ ملككم	كذا بابى العباس ايضا يجدد

ولقد اتفق فى ايامه على ما حكى امر فظيع كشفه الله له بهيبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ احد منهم ان يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يخيل لهم انه يعلم ما فى نفس الانسان من الضمير فاتفق ان احد وزرائه واكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه احد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فاولع بها فسأل عنها فاخبر انها بنت احد التجار فارسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست ازوجها الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه فى ذلك بكل امر وتوسط اليه الاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكى الى احد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فقال كيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مائتى الف مثقال او اكثر وتأتينى بها لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا اعدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الفا وعلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون وابوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يابى هل هذا الاعضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اعلم ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع

الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان
اباها زوجها على صداق مبلغه كذا لو رفعوا في الصداق الى غاية ما ترفع اليه صدقات
الملوك فلما علم ابوها بذلك زاد نفارا واباء فنقل الوزير وذلك القائد الى القاضي
وقال اني تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم
قد ناكرني وانكر الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضي
باحضار الشهود فشهدوا عنده واحضر مال النقد بين يدي القاضي والرجل على
انكاره متماديا فامر القاضي بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب او كره
وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول
الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه احد من غير الخاصة فقيل للرجل
انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون
مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما اردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله
ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة
امير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض
وجعل يحثو التراب على راسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فارسل
المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد واغلظ عليه في القول فحملته هيبته له
وقلة اقدامه على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان
يعذره في ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر
باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا ان
يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد اراد واحياء نفس
ذلك الوزير وايضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا لا يكون الا في صدقات الملوك
وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانه قد اخذها بحقها او باكثر
من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر ان يصلب كل شاهد منهم على باب داره
وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه

ولحمه ودمه ثم امر به لما صنع به ذلك ان يفرغ بين يدي نمور كانت عنده فلما لعقت تلك النمور ذلك بالدم امر الرجل صاحب البنت ان ياخذ ابنته و ياخذ كل ما ذكر والمها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار وعروض ومال ثم مات المعتصم وولي ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك والله تعالى اعلم (ويقرب من شبها منه هذا المثل) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد المغرب من انه وقع بينه وبين الاذفونش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الامير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره ابن الفخار وهى (باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما انى امير الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتكاسل واهمال امر الرعية واخلادهم الى الراحة والامنية وانا اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبي الذرارى وامثل بالرجال واذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم اذا امكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى رأى وانتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الآن نقاتل عشرة منكم واحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك اخذت فى الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد اخرى تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا ندرى أكان الجبن ابطأ بك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر عنك ولك على ان نفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والا جئت بجملتى اليك واقاتلك فى اعز الاماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كبيرة جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق للشقاق لا رب غيره

ولا خبر الا خبر قال فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده	ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله اعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين الشيرازي متولي القاهرة في ايام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فاكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال كانكم انكرتم على بياضهم وسوادي قلنا نعم فقال هؤلاء كانت امهم افرنجية اخذتها ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف اخذتها قال حديثي معها عجيب وامري غريب فقلنا اتحفنا به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة فلم يصل اكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضي المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرايت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت واتت لي بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت اني احبها فقلت للعجوز التي كانت معها اني قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو ناعات

على الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحي في حجها واتفق الحال على ان ادفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت ما جهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت في نفسي اما تستحي الله وانت غريب تعصي الله مع نصرانية اللهم اني اشهدك اني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهي غضبانة و مضت ومضيت الى حانوتي فجلست فيه فاذا هي قد عبرت علي والعجوز وهي مغضبة وكانها القمر فهلكت وقلت في نفسي ومن هو انت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعي فقالت وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم لحبي الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت و مضيت الى موضعي ثم عبرت علي بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على ان اصرف ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه واخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله علي بكسب وافر واخذت اتجر في الجواري لعل يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء فاشتراها مني بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجدها في خزانة الملك في ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال

فلما حضرت الغنيمة جاء الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التي فيها
السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن ياخذها بالعشرة دنانير التي
بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت عزيمتي فقلت اعطوني هذه الجارية فاخذتها
ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها اتعرفيني قالت لا فقلت لها انا صاحبك
التاجر الذي جرى لي معك ماجرى واخذتي مني الذهب وقلت ما عدت
تراني عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك
انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت
والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى
فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر و
اتينا دمشق فبعد مدة يسيرة ارسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق
وقع بين الملوك فردوا من كان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي
فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني فاحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول
فقلت هذه اسلمت وصارت امراتي فقال الملك الناصر بحضرة الرسول
اترجعين الى بلادك او الى زوجك فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا
مولانا السلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطني كما ترونه وليس لي رغبة في
الرجوع الى بلادي ولم رغبتي الا في الاسلام وزوجي فقال لها الرسول ايما احب
اليك هذا المسلم او زوجك الافرنجي فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول
لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك وتوجه
فولت بها فطلبني ثانيا وقال ان امها ارسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي اسيرة
واشتهي ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت
القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها امها ووجدت من داخله الصرتين
الذهب الخمسين دينار والمائة دينار كما هي بربطتي فلم يتغير وهؤلاء الاولاد
منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم (ويحكى ان بعض الملوك

ارسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه باخبار الرعية
فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ما جئت له
وانا ارغب اليك فى كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق
العدل فان انت فعلت ذلك فلك منى ما تشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان
ابيت ذلك امرت الشرطيين ان ينهوا الى من امرك فى الملاء ما يوجب قتلك اما
حدا واما سياسة فاقتلك بمحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كامس الماضى
فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليعوق مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك
(اما بعد اعز الله الملك واكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل
فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته
وارضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا وانزلهم منزلة الاولاد و
اذهب ما بينهم من الاحقاد واراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الاخرى
اغنى القاصد وارضى الوارد فجميع اهل عمله داعون للملك يودون النظر الى
وجهه الكريم والسلام) فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان
فلانا لم يكن عندى بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا
يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير اصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان
قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم اى انه خائف منى لما اعتمده فى الولاية واما قوله
ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى اقضيته فمعناه انه لم يخص احدا بظلمه بل الجميع
سواء وقوله وارضى بعضهم عن بعض اى ذهبت احقادهم لان الشدائد تذهب
الاحقاد وقوله انزلهم منزلة الاولاد معناه اخذ اموالهم ورأى انها له اخذا من
قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله واراحهم من السعى فى الدنيا
معناه انه اخذ اموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم
للعمل فى الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله اغنى الوارد
وارضى القاصد فانه يعنى نفسه اى انه اعطاه مالا ليكتب الى بذلك واما قوله

جميع اهل عمله داعون لنا معناه ان يبصرنا الله بامرهم ونطلع على ما هم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا اى يشكون الينا ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل واحضره الى بابه وانصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على افعاله والله اعلم

وهذه قصيدة الزينبية

صرمت حبالك بعد وصلك زينب	والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها	سودا ورأسك كالثغامة اشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما	كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه	آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه	وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة	وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا	واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه	لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته	بل اثبتاه وانت لاه تلعب
والروح فيك وديعة اودعتها	ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها	دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما	انفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته	حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لا يدوم نعيمها	ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة اولاكها	بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان واهله مستبصرا	ورأى الامور بما تؤوب وتعقب
لا تأمن الدهر الخؤن فانه	ما زال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى غصاتها	غصص يذل لها الاعز الانجب

فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... ان التقى هو البهى الاهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع له لديه مقرب
فاقنع ففى بعض القناعة راحة ... واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسى ثوب المذلة اشعب
وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الانثى حياتك انها ... كالافعوان يراع منه الانيب
لا تأمن الانثى زمانك كله ... يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بلين حديثها وكلامها ... واذا سطت فهى الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما ... فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده ... فالحقد باق فى الصدور مغيب
واذا الصديق رايته متملقا ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير فى ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف انه بك واثق ... واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز اصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين الى المقارن ينسب
ان الغنى من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرغب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه ... حقا يهون به الشريف الانسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم ان اذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحبا ... ان الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة فى كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه ... نشرته السنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز فى الناس ياتى رزقه ... رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا اصابك نكبة فاصبر لها ... من ذا رايت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة ... اونالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه ادنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد واقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل ... ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه ... يعدى كما يعدى السليم الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا ... واعلم بان دعاءه لا يحجب
واذا رايت الرزق عز ببلدة ... وخشيت فيها ان يضيق المذهب
فارحل فارض الله واسعة الفضا ... طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى ... فالنصح اغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادى عاقلا خير له ... من ان يكون له صديق احمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا ... ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا نطقت فانما ... يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت احلامهم ... من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل وادٍ قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول وينطق

لا الفينك ثاويا فى غربة ... ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... الفيت اكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورايت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا ... ورايت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته افعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين اذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزى فى الاذكياء وغيره) ان عمران بن حطان كان احد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام (على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه)

يا ضربة من تقى ما اراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه ... اوفى البرية عند الله ميزانا
اكرم بقوم بطون الارض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى ابا الطيب الطبرى رحمه الله هذه الابيات فقال مجيبا له

انى لابرأ مما انت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا
انى لاذكره يوما فالعنه ... دينا والعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

اشار ابو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاؤا برجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فامر به النبى صلى الله عليه وسلم ان يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد

حتى لا يبقى من صلاتك شيء وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من اهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فاخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك اضوء من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي بالله)

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب العمر مجتهدا ... بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصا على الاموال يجمعها ... انسيت ان سرور المال احزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له ... عند الخليقة اخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة ... فالبر يخدشه مطل وليان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن ... قد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا ... فيها ابروا كما للحرب فرسان
ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان

من مدّ طرفا بفرط الجهل نحو هوى   اغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له   على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا   لان طبعهم بغي وعدوان
ومن يفتش عن الاخوان مجتهدا   فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه   ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام الى الاشرار نام وفي   قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم   وعاش وهو قرير العين جذلان
وان اساء مسيء فليكن لك في   عروض زلته صفح وغفران
اذا نبا بكريم موطن فله   وراءه في بسيط الارض اوطان
لا تحسبن سرورا دائما ابدا   من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده   ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضي سيرته   ابشر فانت بغير الماء ريان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها   فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته   فكل حر لحر الوجه صوّان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم   غرائز ليس يحصيهن انسان
من استعان بغير الله في طلب   فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما   فانه الركن ان خانتك اركان
لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضى   وان اظلته اوراق وافنان
يا رافلا في ثياب المال منتشيا   من كاسه فاقدا للرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل   فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا اخا الشيب لو ناصحت نفسك لم   يكن لمثلك في الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها   ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها   ان شيع المرء اخلاص وايمان

وكل كسر فان الله يجبره — وما لكسر قناة الدين جبران
خذها سوائر امثال مهذبة — فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها — ان لم يضعها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا — فانها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق انعمه — وعمهم منه في الدارين احسان
ومذ أتى ابصرت عمي القلوب به — سبل الهدى ووعت للحق آذان
جبينه قمر قد زانه خفر — وثغره در ثغر ومرجان
فالبدر يخجل من انوار بهجته — والشمس من حسنه الوضاح تزدان
به توسلنا في محو زلتنا — لربنا انه ذو الجود منان
يا رب صل عليه ما همى مطر — فاينعت منه اوراق واغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا — والآل والصحب لا تفنيه ازمان

وعن حماد الراوية قال كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما ولي اخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما انا في المسجد الاعظم اذ اتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال اجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب امير المؤمنين علي بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب احدهما ودفع اليه كيسا فيه الف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لي الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس في دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز احمر في وسط قبة حمراء من خز فرشها وكل ما فيها احمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفي احدى يدي الاخرى نبيذ احمر وفي اليد الاخرى نبيذ ابيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام وقال ادن يا حماد اتدري فيم بعثت اليك قلت لا يا امير المؤمنين قال في بيت شعر ذهب عني ولا قلت من اي عروض وقافية قال لا ادري الا انه بيت فيه ابريق فقلت في نفسي ان لم

تغن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا امير المؤمنين لعله قول التبع اليمانى أو عدىّ بن زيد العبادى

بكر العاذلون فى وضح الصبح	يقولون لى اما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق	
لست ادرى اذ اكثر العذل فيها	اعدوّ يلومنى او صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جاريه اسقيه فسقتنى كاسا اذهبت ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتنى فقلت يا امير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل ان يذهب الثلث الاخير فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة الف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كاسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل مالهما من اثاث وغيره واصبحت قبضت المال وانصرفت وانا ايسر اهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر ايها المتأدب الى نفاق عظيم الادب فى ذلك الارب وبشهادة اسان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق واجيز عليه بالجاريتين والمائة الف تأنف نفسى ان انظم فى سلك قصيدة من قصائدى

وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت	قينة فى يمينها ابريق

وكنت اريد ان اكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى فى هذا الباب قولى

فى ليلة رقم البدر المنير لها	طرازه بعصا الجوزاء نقرات
وبان لى من لماها حين تبسم لى	فوق اللثات درّ وعبقات

والراح دبت على فهمي قصورها	لكن لها ضاع في الكاسات نفحات
كانت علامات تحقيقي فقامني	هي المنازل لي فيها علامات
مذ انشأتنا سجعنا في محاسنها	مغردين وللانشاء شجعات
هذا وافواه كاساتي قد ابتسمت	لما جنتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت	فللحباب على التسكين جزمات

والطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان ابو عثمان المازني قد جاء اليه يهودي وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة آية من كتاب الله ولا ارى ان امكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الا ايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية

في المجلس هذا الشعر

اظلوم ان مصابكم رجلا	اهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة من القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من اهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة ابو عثمان المازني و هو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا ايام حتى وصل الكتاب الى البصرة فامر الوالي ابا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد في اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجل منصوب به والمعنى إن اصابتكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم

الواثق كلام ابی عثمان وعلم ان الحق ما قالته واعجب به وانقطع الرجل الذی انکر علی الجاریة ثم امر الواثق لابی عثمان المازنی بالف دینار واتحفه بتحف وهدایا کثیرة لاهله ووهبت له الجاریة جملة اخری ثم سیره الی بلده مکرما فلما وصل جاء المبرد فقال له ابو عثمان کیف رایت یا ابا العباس ترکت لله مائة فعوضنی الفا فقال المبرد من ترک شیئا لله عوضه الله خیرا منه انتهی وعن انس رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم سألت الله الاسم الاعظم فجاءنی جبرئیل به مختوما وهو اللهم انی اسألك بالاسم المخزون المکنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحی القیوم قالت عائشة بأبی وامی علمنیه فقال یا عائشة نهینا عن تعلیمه النساء والصبیان والسفهاء اه فائدة کان ابو محمد عبد الله بن یحیی الصنیعی من اصحاب الشافعی وکان اماما صالحا عالما من اهل الیمن من اقران صاحب البیان من تصنیفه احترازات المهذب والتعریف فی الفقه روی ان ناسا ضربوه بالسیوف فلم تقطع سیوفهم فیه فسئل عن ذلك فقال کنت اقرأ ولا یؤده حفظهما وهو العلی العظیم فالله خیر حافظا وهو ارحم الراحمین له معقبات من بین یدیه ومن خلفه یحفظونه من امر الله انا نحن نزلنا الذکر وانا له لحافظون وحفظناها من کل شیطان رجیم وحفظا من کل شیطان مارد وحفظا ذلك تقدیر العزیز العلیم ان کل نفس لما علیها حافظ ان بطش ربك لشدید الی آخر السورة وینبغی ان یزاد فیها ان ربی علی کل شیء حفیظ ثم قال کنت خرجت یوما مع جماعة فرایت ذئبا یلاعب شاة عجفاء ولا یضرها بشیء فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا فی عنق الشاة کتابا مربوطا فیه هذه الآیات المتقدمة انتهی فائدة قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلی الله علیه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتی کدنا نتراءی عین الشمس فخرج سریعا فثوب بالصلاة فصلی وتجوز فی صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا مصافکم کما انتم ثم انفتل الینا فقال اما انی ساحدثکم ما حبسنی عنکم الغداة انی قمت من اللیل فتوضأت وصلیت

ماقدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فاذا انا بربى تعالى فى احسن صورة
فقال يا محمد فقلت لبيك يا رب قال فيم يختصم الملاء الاعلى قلت رب لا ادرى
قال تعالى فى الكفارات والدرجات وفى رواية قلت فى الكفارات والدرجات
قال فما هن قلت مشى الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ
الوضوء على المكروهات قال فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلوة بالليل
والناس نيام قال سل قلت اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب
المساكين ان تغفر لى وترحمنى واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون
اسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى الى حبك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان فى حرف النون وقال ذكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الشرك فقال هو اخفى فيكم من دبيب النمل وسادلك على شئ اذا فعلته اذهب
الله عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم انى اعوذ بك ان اشرك بك شيئا
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم انك انت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات انتهى
فائدة اذا علقت عين الهدهد على صاحب النسيان ذكر ما نسيه ودمه اذا
قطر فى البياض العارض فى العين اذهبه وروى احمد والبزار ورجال احمد ثقات
من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما
فقال له ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال فقد شرب معك الشيطان وفى
تاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن عمر الحنبلى عن انس بن مالك قال كنت جالسا
عند عائشة رضى الله عنها ابشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرنى القريب و
البعيد حتى هجرتنى الهرة وما عرض على طعام ولا شراب فكنت ارقد وانا جائعة
فرايت فى منامى فتى فقال مالك حزينة فقلت مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه
يفرج الله عنك فقلت وما هى قال قولى دعاء الفرج يا سابغ النعم ويا دافع النقم
ويا فارج الغم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولى من

ظلم ويا اول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من امري فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وانا ملبية شبعانة وقد انزل الله برائتي وجاء بي الفرج انتهى من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبراني باسناد صحيح قطعة منه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر باعرابي وهو يدعو في صلاته يقول يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار ولا تواري منه سماء سماء ولا ارض ارضا ولا بحر الا ويعلم ما في قعره ولا جبل الا يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخير ايامي يوم لقائك فوكل النبي صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلا فقال اذا صلى فائتني به فلما صلى اتاه به وقد كان اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابي وهب له الذهب وقال ممن انت ايها الاعرابي قال من بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل انتهى من حرف الطاء وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه ان الملك بهرام جور لم يكن في العجم ارمى منه ومن غريب ما اتفق له انه خرج يوما يتصيد على جمل وقد اردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية في اي موضع تريدين ان اضع هذا السهم من هذه الظباء قالت اريد ان تشبه ذكرانها باناثها واناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم سألته ان يجمع ظلف الظبي واذنه بنشابة واحدة فرمى اذن الظبي ببندقة فلما اهوى بيده الى اذنه ليحك رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه ثم اهوى الى الجارية مع هواه بها فرمى بها الى الارض واوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه

وقال ما اودت الاظهار عجزى فلم تلبث الا يسيرا وماتت انتهى حكاية فى القطا يقال ان عمرو بن امامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فاثاروا القطا من اماكنها فرأتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم لو ترك القطا ليلا لنام فلم يلتفتوا الى قولها واخلدوا الى مضاجعهم

(فقام رجل منهم وقال)

اذا قالت حذام فصدقوها	فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجوا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى اصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن ابى جعفر الخالدى قال ودعت ابا الحسن الصغير المدنى فقلت له زودنى شيئا فقال اذا ضاع منك شئ واردت ان يجمع الله بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بينى وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ او ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه ابيات

لصيد اللخم فى البحر	وصيد الاسد فى البر
وقضم الثلج فى القر	ونقل الصخر فى الحر
واقدام على موت	وتحويل الى القبر
لاشهى من طلاب العز	ف ممن عاش فى الفقر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان فى حرف اللام وذكر بعض اهل التواريخ ان ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فاخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت واخرجت له كتابا وقالت له انظر فى هذا الكتاب الى ان اصلح من امرى ما تحب واعود فاخذ الملك الكتاب

بركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبرانی وقال فی تتمة اخری قال الشیخ قطب الدین
القسطلانی مما حفظت من والدتی ام محمد آمنة وکانت وفاتها فی صفر سنة ست
وخمسین وستمائة اللهم بتلالؤ نور بهاء حجب عرشك من اعدائی احتجبت و
بسطوة الجبروت ممن یکیدنی استترت وبطول حول حجب عرشك من اعدائی
احتجبت وبشدید قوتك من کل سلطان تحصنت وبدیموم قیوم دوام ابدیتك
من کل شیطان استعذت وبمکنون السر من سر سرك من کل هم وغم تخلصت
یا حامل العرش عن حملة العرش یا شدید البطش یا حابس الطیر والوحش احبس عنی
من ظلمنی واغلب من غلبنی کتب الله لاغلبن انا ورسلی ان الله قوی عزیز انتهی
وقال الشیخ قطب الدین ومما حفظته من دعاء والدی من الادعیة التی تنفع فی
الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو انت انت هو لا اله الا انت احتجبت
بنور الله وبنور عرش الله وبکل اسم لله من عدوی وعدو الله بالف الف لا حول
ولا قوة الا بالله ختمت علی نفسی ودینی واهلی ومالی وولدی وجمیع ما اعطانی ربی
بخاتم الله القدوس المنیع الذی ختم به اقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم
الوکیل حسبنا الله ونعم الوکیل حسبنا الله ونعم الوکیل وقال الکسائی دخلت
علی الولید ذات یوم وهو فی ایوانه وبین یدیه مال کثیر قد امر بتفرقته علی خدمه
الخاصة وبیده درهم تلوح کتابته وهو یتامله وکان کثیرا ما یحدثنی فقال هل
علمت اول من سن هذه الکتابة فی الذهب والفضة قلت هو یا سیدی عبد
الملك بن مروان قال فما کان السبب فی ذلك قلت لا اعلم غیر انه اول من احدث
هذه الکتابة قال ساخبرك کانت القراطیس للروم وکان اکثر من بمصر نصرانیا
علی دین ملك الروم وکانت تطرز بالرومیة وکان طرازها ابا وابنا وزوجة
وبنتا فلم یزل کذلك صدر الاسلام کله ونظر فیه واذا فیه الزجر عن الزنا وما
اعد الله تعالی لفاعله من العذاب الالیم فاقشعر جلده ونوی التوبة وصاح
بالمراة واعطاها الکتاب ومر ذاهبا وکان زوج المراة غائبا فلما حضر اخبرته الخبر

فتحير في نفسه وخاف ان يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما امتثل بين يدي الملك قال اقارب المرأة اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل الارض وقد هبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمي انه لا طاقة لي بالاسد ففهم الملك القصة فقال له يا هذا ان ارضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهما انتهى من حرف الالف (فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا اردت ان تعرف ان المرأة عقيم ام لا فمرها ان تحمل شومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا وهي مجربة والله اعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيي الدين النووي في اذكاره في باب اذكار المسافر عند ارادة الخروج من بيته يستحب له عند ارادة الخروج ان يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف احد عند اهله افضل من ركعتين يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك فانكره وقال ما اغلظ هذا في دين الاسلام ان يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر

بابطال ذلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك وان تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله انه لا اله الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا بابطال ما فى اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما اثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فانكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد الملك ان عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطأوا فاختر من هاتين الخلتين ايهما شئت واحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك واحببت ان تزد طرز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز اولا لاشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول واعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه اضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى الى كتابى فاضعفت الهدية وانا ارغب اليك فى مثل ما رغبت فيه اولا من رد الطراز الى ما كان عليه اولا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضى اجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فاضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد اضعفتها لك ثالثا وانا احلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه اولآمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش فى بلادى ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت فى بلاد الاسلام فتنقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فاحب ان تقبل هديتى وترد الطراز الى ما كان عليه اول الامر وكانت هدية بررتنى بها

ويبقى الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال احسبني اشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى ابد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع اهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك بم قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ولكنه يا روح الرأي فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة ان ارسل الى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة الف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من اصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه اخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم او الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة اصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون اوزانها جميعا احدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها

صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) اى كل هنيئا وكان وزن الدرهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي السمرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وامره محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه ان يكتب السكة في جميع بلدان الاسلام وان يتقدم الى الناس في التعامل بها وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه يقول ان الله عز وجل مانعك مما قد اردت ان تفعله وقد تقدمت الى عمالى في اقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال السكك وطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال انما اردت ان اغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الروم فاما الآن فلا افعل لان ذلك لا يتعامل به اهل الاسلام وامتنع من الذي قال وثبت ما اشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى وكان من الثقات واهل السنة رايت على بن ابى طالب رضى الله عنه في المنام فقلت يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفى في هذا قلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه او خطه لاحد وما نظمها الا في ليلة تم انشد في

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد ابو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن

الصيفي ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وامر شديد فقال
ما للناس في حيص بيص فبقي هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا	اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يأتي الى من ليس يطلبه	وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله ايضا

يا طالب الطب من داء اصيب به	ان الطبيب الذي ابلاك بالداء
هو الطبيب الذي يرجى لعافية	لا من يذيب لك الترياق في الماء

وله ايضا

اله عما استأثر الله به	ايها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه	حول محتال اذا الامر سبق

وله ايضا

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت	على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الاقبال انفاق

(ومما جاء في الذكاء والفهم) ما حكي عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور اصحابه في الايقاع به وكان قد حضر في ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على راسه فقالت له يا سيدي اني افهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه اراد قوله تعالى يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته واحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فامر وزيره ان يكتب له كتابا يتخصصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وجعل في صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت و

هذه

هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم ففكر فى ذلك فظهر له انه اراد ان الملاء يأتمرون بك ليقتلوك نكشط الشدة وجعل مكانها الفا وختم الكتاب واعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه اراد انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها انتهى وفى تاريخ بغداد ووفيات الاعيان ان اباحنيفة رضى الله عنه كان له جار اسكافى يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى وقال

اضاعونى واى فتى اضاعوا	ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى ياخذه النوم وابوحنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان ابوحنيفة يصلى الليل كله ففقد ابوحنيفة صوته فسأل عنه فقيل اخذه العسس منذ ليال فصلى ابوحنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته واتى الى دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال اشفع فى جارى فقال الامير اطلقوه وكل من اخذ فى تلك الليلة فخلوهم ايضا وذهبوا وركب ابوحنيفة بغلته وخرج والاسكافى يمشى وراءه فقال له ابوحنيفة يافتى هل اضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى ما كان يفعل وقال الشافعى قلت لمالك هل رايت اباحنيفة قال نعم رايت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة اخرى للصداع) ذكر فى حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب فى الحرب فقال اهل عمورية للمسلمين ما لاميركم لا يركب فقالوا عرض له صداع فقالوا لنا برنس فالبسوه له يزول عنه ما يجد فلبسه فشفى ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه شيئا غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من

ربكم وحم بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم
واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى
الليل والنهار وهو السميع العليم) فقال المسلمون من اين لكم هذا هذا انما انزل على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا محفوظا فى حجر فى كنيستنا قبل ان
يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى قال الحافظ ابن عساكر ويكتب للصداع ايضا
(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهيعص حمعسق كم لله من نعمة
على عبد شاكر وغير شاكر وكم لله من نعمة فى قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من
نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب ايها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله
وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين) فانه نافع
وعن ابى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله
يده حتى مات فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب آنفا
فقال رجل من القوم انا يا رسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى اسألك بان
لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام
اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم
اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند
احمد وكتابى الحاكم وابن الحبان قيل وكانت صلوة العصر يوم الجمعة وان الرجل
الداعى سعد بن ابى وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه ايضا) تكتب
هؤلاء الكلمات وتجعل فى انبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد
باذن الله تعالى وهى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٢٢/ميل

وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا ارحم الراحمين وهو عجيب مجرب فائدة قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من امر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد اشكل ذلك جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للمحقر من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد اجمع المسلمون على ان من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ما له	اتانا بلا وعد فقولا لها لها
اتى وهو مشغول بعظم الذى به	ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى	اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلاء وخد مورد	كان اباها الظبى او امها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى	وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى انوف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعى وقال ابو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله

فهى قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

حكاية الهامة

روى ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الاحبار يا امير المومنين الا اخبرك باغرب شئ قرأته فى كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داؤد عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام يا هامة اخبرينى كيف لا تاكلين من الزرع قالت يا نبى الله ان آدم اخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن اجل ذلك لا اشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا اسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت اقول اين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت اقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وامامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين فى صياحك قالت اقول تزودوا يا غافلين وتهيؤا السفر سبحان خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طير انصح لابن آدم ولا اشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال ابغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان وفى كتاب فردوس الحكم قال آية من كتاب الله تعالى من قراها يأمن من الهوام انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم فائدة اليحمور حمار الوحش وفى كتاب العرائس لابى الفرج بن الجوزى ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمة وانا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى

قال اذا اتيت مكان كذا او كذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك ابيض فاسأل
عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك قال فقلت له يا اخي وانا ايضا
اسألك حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم والح
بالآدمي مناما داواه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما
المصاب من يديه شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السداب البري ويقطر في انفه
الايمن اربعا وفي الايسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الى احد بعده قال فلما
دخلت المدينة اتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فابت
فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة
اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا
ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك اصيبت شابة عندنا
بجني وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدره شبر من جلد يحمور وشيئا
من دهن السداب البري فاتوا بهما فشددت ابهامي يدي الشابة شدا وثيقا فلما
فعلت بها ذلك صاح وقال انا علمتك على نفسي ثم قطرت من الدهن في انفها الايمن
اربعا وفي الايسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده
شيطان (فائدة) دم اليربوع يوخذ ويطلى به الشعر الذي ينبت في الجفن بعد ان
ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت صاحب النسيان
ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما
يريد ولحمه اذا اكل مطبوخا نفع من القولنج ودمه اذا قطر في البياض العارض في العين
اذهبه وان بخر بعش برج حمام لم يقربه شيء يؤذيه والله اعلم وحكى القاضي شهاب
الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الانصار في ممالك الامصار في ترجمة
الحاكم بامر الله ابي علي منصور قال فبينما هو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ مر برجل
على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا امير المؤمنين قد
اطمعتني في السؤال فان رأى امير المؤمنين ان يكرمني ويزوله لا حظى بتمام السعد

فاجابه لذلك فنزل بجيشه فاخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية اشربة سكرية فبهت الحاكم وقال ايها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فاعددت هذا قال لا والله يا امير المؤمنين وانما انا تاجر من رعيتك لي مائة محظية فلما اكرمتني بالنزول عندي اخذت من كل واحدة شيئا من فرشها وزائد اكلها وشربها فان لكل واحدة في كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد امير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم امر بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا ابا اسحاق اصبحت اليوم مهموما فاردت الصبوح لاتسلى فغنني صوتا لعلي ارتاح له فغنيته

اذا نزلوا ابطحاء مكة اشرقت	بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود اكفهم	وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وامر لي بمائة الف وامر لي كل واحد من ولديه بمائة الف فحمل الي جميعه بين يديه فاخذته وانصرفت وحكى عن مخارق قال اصبحت السماء مغيمة واصبح الرشيد مع حرمه فامرنا بالانصراف واذن لنا ان نقيم في منازلنا ثلاثة ايام فمضى الجلساء اجمعون الى منازلهم فقلت والله لاذهبن الى استاذي ابراهيم الموصلي فاعرف خبره ثم اعود وامرت من عندي ان يهيؤا لي مجلسا الى وقت رجوعي فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب اخبر استاذك فاخبره فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه قدور تغرغر واباريق تزهر وستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت ما بال الستارة لا اسمع من ورائها صوتا فقال اقعد

ويحك انى اصبحت على ما ترى فاتانى خبر ضيعة بجوارى و قد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم املكها وقد اعطى فيها الآن مائة الف فقلت وما يمنعك منها و قد اعطاك اضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبة باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على مدورة والقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم	وبت من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدا	اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فاخذته واحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رايت واذكر الضيعة وعرفه انى صنعت له هذا الصوت فاعجبنى ولم اجد من يستحقه الا جاريته دنانير وانى القيته عليك لتلقيه عليها وائتنى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستاذنت واعلمته فامر بنصب الستارة والقيت الصوت على الجارية مرارا حتى احكمته فقال لى تقيم عندنا او تنصرف قلت انصرف اطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة الف فحملت مالى واتيت الى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة اكلت وشربت بقية يومى فلما اصبحت قلت و الله لاذهبن الى استاذى واعرف خبره واتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان بالامس فقلت له ما الخبر ا ياتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه والقى على صوتا آخر اتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من ابيه بالامس فامر ان يحمل معى عشرون الفا ولابراهيم مائتا الف وفعلت مثل ما فعلت بالامس وغدوت اليه لما اصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره والقى على صوتا غيره اتيت به جعفر بن يحيى واخبرته بما كان من ابيه واخيه فامر ان يحمل معى ثلاثون الفا والى ابراهيم ثلثمائة الف فحملت معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة الف وانا جالس فى مجلسى لم ابرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله ارواحهم اجمعين وقال اسحاق غدوت يوما وانا منحصر من ملازمة امير المؤمنين

نعرضت نفسى على ان اطوف فى الصحراء والفرج وقلت لغلمانى اذا جاء رسول الخليفة او غيره فلا تعرفوه مكانى فطفت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى فناء استريح فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورايت لها قواما حسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسى انها مغنية ثم دخلت الدار التى انا واقف عليها ثم لم البث ان جاء شابان جميلان واستأذنا فاذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعانى وظن صاحب البيت انى معهما وجلسنا فاتى بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفى يدها عود فغنت وشربنا فسالهما صاحب المنزل عنى فاخبراه انهما لا يعرفانى فقالوا هذا طفيلى لكنه ظريف فاجملوا عشرتى فشربنا ودار الكاس فغنت

الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بنا ام شادن		اما المطايا وهى بالشرب تسمح	
من المولعات الرمل قد بدت نحوها		شعاع الضحى من وجهها يتوضح	

فادته اداء حسنا ثم غنت اصواتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد عاتبا		ونأى عنى جانبا	
قد بلغت الذى اردت		ت وان كنت لاعبا	

فاستعدته منها لاصححه عليها فاقبل على احد الرجلين يعنفنى ويقول ما راينا طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلى ويقترح فاطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتاخرت بعدهم قليلا واخذت عود الجارية وشددت طبقته واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعى وعادوا واخذ ذلك الرجل فى عربدته على وانا صامت واخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودى قالوا ما جسه احد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته واصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها انا فقالت بالله خذ واضرب فاخذته وضربت

ضرباً عجيباً فيه نقرات محركة فما بقي منهم احد الا وثب وجلس بين يدي وقال صاحب المجلس اقسم بالله ان لك في هذه الصناعة اصواتاً غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت انا اسحاق الموصلي ووالله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبت وانتم تروّن صاحبكم هذا يسمعني ما اكره لكوني تادبت معكم وحللت عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا الممقوت فقال لصاحبه من مثل هذا خفت عليك واخذوا بيده وسحبوه واخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي فقال لي الرجل هل لك في خصلة قلت ما هي تقيم عندنا اسبوعاً والمكافاة الجارية والجهاز ذلك قلت نعم افعل واقمت عنده اسبوعاً لا يعرف احد اين انا والمامون يطلبني في كل حين وكل موضع ولم يقع احد على خبري فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المامون فلما رآني قال يا ابا اسحاق ويحك اين كنت فاخبرته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فاحضره وساله المامون فاخبره القصة فقال انت ذو مروة وسبيلك ان تعان عليها وامر له بمائة الف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع		من الحب ميعاد السلو المقابر	
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا		سريرة ودّ يوم تبلى السرائر	

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا ادري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فاتى به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وساله عن قائل هذا الشعر فقال للاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فامر بتخلية سبيله وان يدفع له اربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه واحسن اليه احساناً جزيلاً وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى وحكى مسرور الخادم ان الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له اين تريد يا امير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم

الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا امير المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بي اليك ثم نزل وجلس في طرف الايوان واجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي استنبط شيئا تاكله قبل الشراب قال نعم فجاء بطعام كانما كان معدا له فاصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي يا سيدي اغنيك ام تغنيك اماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فاخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم ايضربن كلهن ام واحدة واحدة فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني قال فضربت اثنتان و

غنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع يحدثني	كادت لها مهجتي من حرها تقع
لو ان لي صبرها او عندها جزعي	لكنت اعقل ما آتي وما ادع
لا احمل اللوم فيها والغرام بها	ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت اخرى فقالت

طرقتك زائرة فحيي خيالها	بيضاء تخلط بالجمال دلالها
هل يطمسون من السماء نجومها	باكفهم او يطمسون هلالها
شهدت من الانفال آخر آية	فاردتم ويجالكم ابطالها

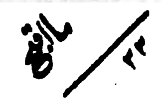
ثم غنت اخرى فقالت

شطت سعاد واضحى البين قد ابدى	واورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم	وخلفوك غداة البين منفردا
لا استطيع لهم صبرا ولا جلدا	ولا تزال احاديثي بهم جددا

قال فقام حتى وصل صدر الايوان واخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصب لشيء من غنائهن الى ان غنت صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة

هذين البيتين لابي نواس

يا موري الزند قد اعيت قوادحه	اقبس بما شئت من قلبي بمقباس



ما اقبح الناس فی عینی واسمجهم | اذا نظرت فلم انظرك فی الناس

فطرب الرشید لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسال الجاریة عن صانعه فاسکتت فاستدناها فتقاعست فامرها فاقبلت بین یدیه فاخبرته بشیٔ اسرته الیه فدعا بحماره فرکبه ثم التفت الی ابراهیم الموصلی فقال له ما ضرك ان تکون خلیفة فکادت روحه تخرج حتی دعاء بعد ذلك وادناه قال وکان الذی اخبرته به سرا ان الصنعة فی الصوت لاخته علیه بنت المهدی وکانت الجاریة لها فوجهتها الی ابراهیم الموصلی یطارحها ومن قول

ابی نواس

دع عنك لومی فان اللوم اغراء | وداونی بالتی کانت هی الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها | لو مسها حجر مسته سراء
من کف ذات حرفی زی ذی ذکر | لها محبان لوّاط وزناء
قامت بابریقها واللیل معتکر | فلاح من وجهها فی البیت لألاء
فارسلت من فم الابریق صافیة | کانما اخذها للعقل اخفاء
رقت علی الماء حتی لا یلائمها | لطافة وخفی من شکلها الماء
فلو مزجت بها نور المازجها | حتی تولد انوار واضواء
دارت علی فتیة ذل الزمان لهم | فما یصیبهم الا بما شاؤا
فقل لمن یدعی فی العلم توسعة | حفظت شیئا وغابت عنك اشیاء

وقال الشاعر

کعصفورة فی کف طفل یهینها | تذوق مرار الموت والطفل یلعب
فلا الطفل ذو عقل یرق لحالها | ولا الطیر مطلوق الجناح فیهرب

وروی البیهقی فی الشعب عن مالك بن دینار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الی الفخ وقال مالك متغیبا فی التراب فقال للتواضع قال لم حنیت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة

التي في فيك قال اعددتها للصائمين فلما امسى تناول الفخ في عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير في هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعي رضي الله عنه اربعة اشياء تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة اشياء تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك و مجالسة الصالحين والعمل بالعلم واربعة تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم و كثرة شرب الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط المكي على المهدي ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فسأله ان يأذن له في تقبيل يده فاذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب في ذلك

وانشد يقول

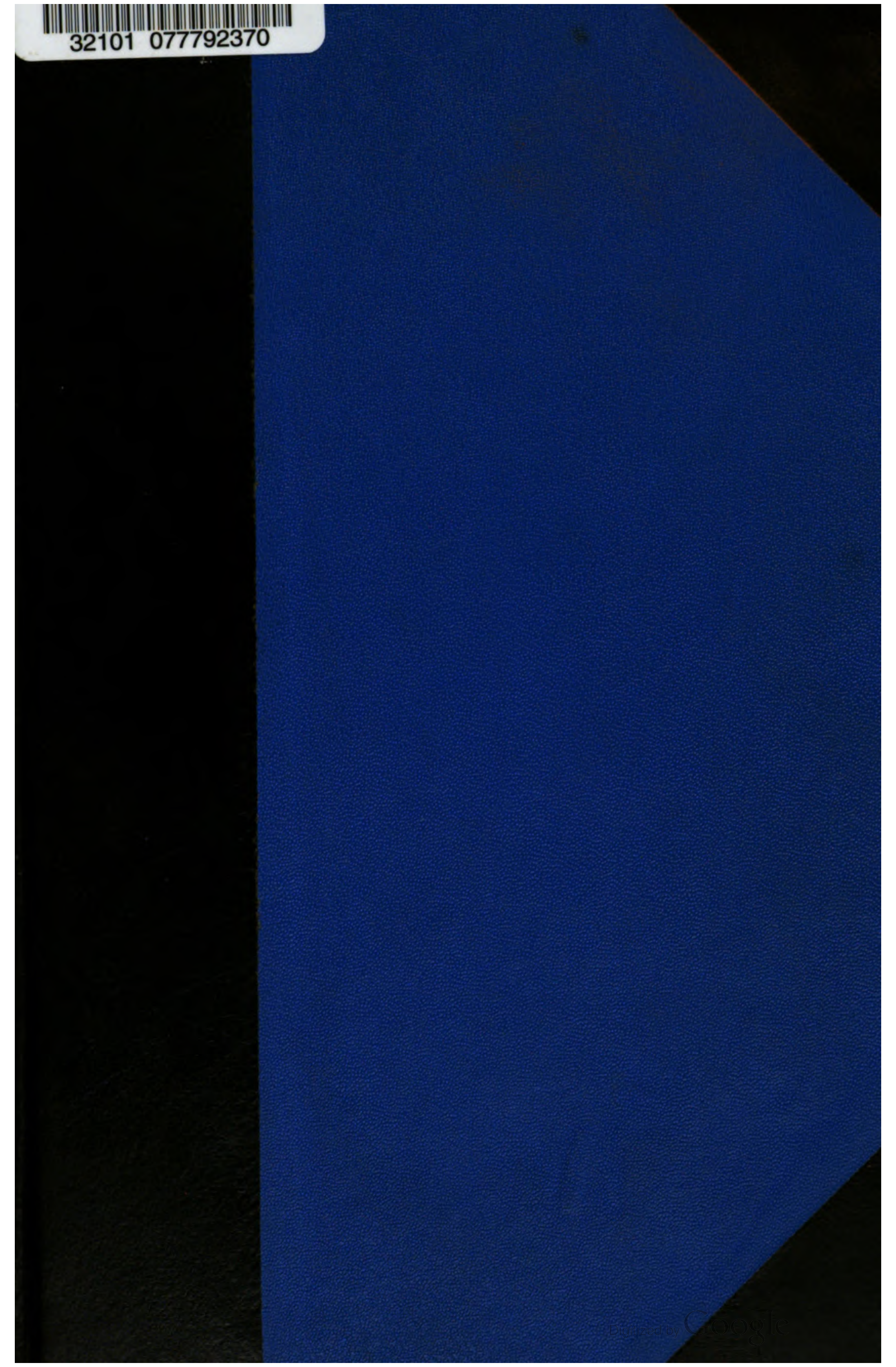
لمست بكفي كفه ابتغي الغنى	ولم ادر ان الجود من كفه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذو الغنى	افدت واعداني فاتلفت ما عندي

فغنى بهما المهدي فامر له بخمسين الف دينار انتهى

اقول لمقلتيه حين نامت	وسحر النوم في الاجفان ساري
تبارك تتوفاكم بليل	ويعلم ما جرحتم بالنهار

الامام احمد بن حنبل ومناقبه رضي الله عنه

مات سنة مائتين واحدى واربعين وحرر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته رضي الله عنه عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووي في تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل امر ان يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام احمد فبلغ مقام الفي الف وخمسمائة وقد حزن عليه رضي الله تعالى عنه المسلمون و اليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغني موت الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت يا


32101 077792370
Digitized by Google